أبحاث

# تأثير القرآن في النفوس

## من وجوه إعجاز القرآن الكريم

**د. سالم بن غرم الله الزهراني(*)**

بسم الله الرحمن الرحيم

### المُقَدِّمَةُ:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فإن الله تعالى لما بعث نبيه محمداً ﷺ بدين الحق، أيده سبحانه بالمعجزات الواضحة والبراهين القاطعة على صدق نبوته، وتعددت معجزاته وكثرت، غير أن جل تلك المعجزات كانت وقتية منقطعة، انتهت بوقتها، خلا المعجزة الكبرى والآية العظمى التي لم يظهر للخلق مثلها.

إنها المعجزة الخالدة القرآن الكريم، الذي اعترف أفصح الناس وأصرحهم في العربية وأقومهم بلسانها بعلو مكانته وعظمته، واستحالة أن يكون من كلام أفصح فصيح من البشر، بل وسجلوا عجزهم وتصاغر قدراتهم أمام براعته وبلاغته،

---

(*) الأستاذ المساعد بقسم القراءات بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى.

وسجل التاريخ ذهول حكمائهم لسماع آياته وبراهينه المشرقة الساطعة.

ولما كان القرآن الكريم هو المعجزة العظمى لنبي هذه الأمة ﷺ، والآية الخالدة للأمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، اجتهد علماء الإسلام في التماس وجوه الإعجاز، ومكامن الإبداع، في آيات القرآن الكريم، وتعددت أقوالهم في تعداد ما بدا لهم وما التمسه كل منهم من تلك الوجوه .

ومما عدُّوه من تلك الوجوه: إعجاز القرآن الكريم في التأثير على النفوس، وهو ما اخترته ليكون موضوعاً لهذا البحث .

## أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- لا تخفى أهمية مثل هذا الموضوع، لتعلقه أولاً بالقرآن الكريم وإعجازه، ولتناوله جانباً هاماً من جوانب الإعجاز القرآني، وهو جانب النفس وتأثرها بهذا الوحي المبين .

٢- ولِما وقفت عليه مما سُطِّر في تأثر الخلق به من مختلف الأجناس، وسواء في ذلك من كانوا مسلمين أو كافرين، من فصحاء العرب الأقدمين فمن بعدهم أو من العجم الذين لا يَعُون من معاني ألفاظه شيئاً، وما سجلته دواوين السنة والسيرة من وقائع وأحداث تشهد لهذا الأمر، وما يتكرر من هذه الصور في كل عصر وجيل إلى عصرنا الحاضر في بلاد الإسلام أو في غيرها من بلاد الله الواسعة التي يتلى فيها آي الذكر الحكيم .

٣- يضاف إلى ذلك حاجة كل مسلم إلى إحياء التأثر بالقرآن في نفسه، ثم فيمن حوله، بل حاجة كل إنسان إلى التلذذ بآي هذا الكتاب العزيز، وإقناع العقل ببراهينه القاطعة، وإمتاع العاطفة بهداياته المشرقة .

٤- ومما دفعني إلى هذا الموضوع أيضاً ما وقفت عليه من كلام العلماء رحمهم

الله وإشاراتهم المتفرقة في كتبهم حوله، فقد كثرت أقوال العلماء في الإشادة بهذا الضرب من الإعجاز، وجلالة قدره، وعظيم نفعه(١) .

ومما وقفت عليه مما له صله بهذا الموضوع بحث بعنوان ( التأثر بالقرآن والعمل به أسبابه ومظاهره ) للدكتور بدر بن ناصر البدر، وقد عُني المؤلف في هذا البحث بالحثِّ على تدبر القرآن والتأثر به، والإخلاص في التأثر بالقرآن والعمل به، وبيان أسباب التأثر بالقرآن، وموانعه، والتحذير من الابتداع ومخالفة السنة في التأثر بالقرآن، وثمار التأثر بالقرآن الكريم وحسناته وآثاره .

ولم يهدف إلى إبراز تأثير القرآن في النفوس كوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم .

إلا أنه ذكر فيه – مما له تعلق ببحثي هذا – بعض مظاهر التأثر بالقرآن، وتأثر الجن بالقرآن الكريم .

ومن الكتب التي تناولت هذا الموضوع أيضاً كتاب (إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ) لصلاح عبد الفتاح الخالدي، وهذا الكتاب يتناول فيه مؤلفه الإعجاز البياني للقرآن الكريم عموماً، ولذا فإنه يذكر كل وجه من وجوه إعجاز القرآن – ومنها تأثير القرآن في النفوس – باختصار، وقد عدد أنواع الإعجاز البياني للقرآن الكريم ضمن خمسة عشر مبحثاً، وجعل المبحث الخامس عشر عن ( التأثير البليغ الأخّاذ للقرآن ) وقد أفدت من تقسيماته وترتيبه .

غير أني بتخصيصي هذا الوجه من وجوه الإعجاز بالبحث توسعت في بيانه، وقصدت إبرازه، وبيان مظاهره على اختلاف أجناس المتأثرين به، مع الاستدلال على ذلك بعدة أمثلة .

---

(١) سيرد ذكر جملة من تلك الأقوال في ثنايا البحث، ومن ذلك ما يرد في مبحث ( سر تأثير القرآن في النفوس ) من الفصل الأول .

## خطة البحث :

سرت في بحثي وفق الخطة التالية :

**المقدمة** : وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطة البحث .

**تمهيد** : في تعريف الإعجاز، والغاية منه، وذكر بعض من عد تأثير القرآن في النفوس من الإعجاز .

**الفصل الأول** : سرُّ تأثير القرآن الكريم، ومن الذي يتأثر به أكثر من غيره، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : سرُّ تأثير القرآن في النفوس .

المبحث الثاني : من الذي يتأثر بالقرآن أكثر من غيره .

**الفصل الثاني** : تأثير القرآن في غير البشر، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تأثيره في الملائكة، ومظاهره .

المبحث الثاني : تأثيره في الجن، ومظاهره .

**الفصل الثالث** : تأثير القرآن في نفوس الناس، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تأثير القرآن في نفوس الكافرين من العرب وغير العرب .

المبحث الثاني : تأثير القرآن في نفوس المؤمنين، ومظاهره .

**الخاتمة** : وفيها أهم نتائج البحث .

**فهرس المصادر والمراجع .**

وقد سلكت في هذا البحث مسلك الاختصار، فلم أترجم لأي علم من الأعلام الوارد ذكرهم فيه، رغبة في تخفيف الحواشي وعدم الإطالة .

هذا وأسأل الله تعالى أن يجعله عملاً سديداً ومتقبلاً، وأسأله سبحانه أن يجعلنا من حملة كتابه العاملين به، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

# تمهيد

## تعريف الإعجاز:

الإعجاز مصدر الفعل الرباعي (أعْجَزَ) والجذر الثلاثي للكلمة هو (عَجْز) وفي عين ماضيه الحركات الثلاث ولكل منها معنى، فبالفتح يقال: عَجَزَ يَعْجِزُ عَجْزاً من باب: ضرب يضرب، والمعنى: ضَعُفَ عن الشيء ولم يقدر عليه.

وبالكسر يقال: عَجِزَ يَعْجَزُ عَجَزاً، من باب: شرب يشرب، والمعنى: عَظُمَت عجيزتُه، وكبرت مؤخرته.

وبالضم يقال: عَجُزَ يَعْجُزُ عُجُزاً، من باب: كرُم يكرُم، والمعنى: صار عجوزاً ضعيفاً عاجزاً (١).

وهذه المعاني تجتمع في معنيين هما الضعف والمؤخرة، قال ابن فارس: «العين والجيم والزاي: أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء، فالأول: عَجَزَ عن الشيء يعجِز عجْزاً، فهو عاجز، أي: ضعيف.. وأما الأصل الآخر: فالعَجُز: مؤخَّر الشيء، والجمع أعجاز، والعجيزة: عجيزة المرأة خاصة إذا كانت ضخمة..»(٢).

**والإعجاز من**: أعجز يُعْجِز إعجازاً فهو مُعْجِز، بمعنى: سبق وفاز، تقول: أعجز الرجل خصمه بمعنى: فاته وسبقه وفاز عليه وغلبه، بحيث لم يستطع الخصم العاجز إدراكه واللحاق به، فالإعجاز هو الفوت والسبق، وجعل الغير عاجزاً عن الطلب والإدراك(٣).

وإعجاز القرآن مركب إضافي، أضيف فيه المصدر إلى القرآن، وهو من باب

---

(١) المعجم الوسيط ص ٥٨٥.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٢ / ٢٢١.

(٣) انظر المفردات ص ٦٤٧ وعمدة الحفاظ ٣ / ٣١ وبصائر ذوي التمييز ٤ / ٢٢ والقاموس المحيط ص ٦٦٣.

إضافة المصدر لفاعله، والتقدير: أعجز القرآن الكافرين عن أن يأتوا بمثله، بحيث عجزوا عن ذلك .

**ومعنى إعجاز القرآن**: هو عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن، وقصورهم عن الإتيان بمثله، رغم توفر ملكتهم البيانية، وقيام الداعي على ذلك، وهو استمرار تحديهم، وتقرير عجزهم عن ذلك .

أو: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، فهو من إضافة المصدر لفاعله، والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به، والتقدير: إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به(١).

## الغاية من الإعجاز:

التعجيز ليس مقصوداً لذاته، بل المقصود لازمه، وهو إظهار أن هذا الكتاب حق، وأن الرسول الذي جاء به رسول صدق .

وكذلك الشأن في كل معجزات الأنبياء، ليس المقصود بها تعجيز الخلق لذات التعجيز ولكن للازمه، وهو دلالتها على أنهم صادقون فيما يبلغون عن الله .

فينتقل الناس من الشعور بعجزهم إزاء المعجزات إلى شعورهم وإيمانهم بأنها صادرة عن الإله القادر، لحكمة عالية، وهي إرشادهم إلى تصديق من جاء بها ليسعدوا باتِّباعه في الدنيا والآخرة(٢) .

## من العلماء من عد تأثير القرآن في النفوس من الإعجاز:

كثيرون من علماء البلاغة والتفسير والقرآن في القديم والحديث لاحظوا تأثير القرآن في القلوب وأثره في النفوس فاعتبروا ذلك التأثير من وجوه إعجاز القرآن،

---

(١) مناهل العرفان ٢ / ٣٣١ وانظر إعجاز القرآن البياني ص ١٥– ١٧ .

(٢) مناهل العرفان ٢ / ٣٣١ .

وعبروا عنه بعبارات متفاوتة .

وأول من عدَّ هذا التأثير القرآني وجهاً خاصاً من وجوه الإعجاز هو الإمام أبو سليمان الخطابي ( ت٣٨٨هـ) فقد نص عليه في رسالته ( بيان إعجاز القرآن ) فقال :

« قلت في إعجاز القرآن وجهاً آخر، ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم .

وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى، ما يخلص منه إليه .

تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه، عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق .. تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس ومضمراتها وعقائدها الراسخة فيها .. فكم من عدو للرسول ﷺ من رجال العرب وفُتَّاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيماناً »( ١ ) .

وقال القاضي عياض ( ت٥٤٤هـ) : « ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله، وإنافة خطره، وهي على المكذبين به أعظم، حتى كانوا يستثقلون سماعه، ويزيدهم نفوراً، كما قال تعالى، ويودون انقطاعه لكراهتهم له ... وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته

---

( ١ ) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٧٠، ونقل عنه الزركشي بعض كلامه هذا في البرهان ٢ / ٢٣٦، ثم استشهد له بقصة جبير بن مطعم وإسلام عمر رضي الله عنهما، وسيأتي ذكرهما بتمامهما في موضعه .

إياه مع تلاوته توليه انجذاباً، وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه، وتصديقه به »( ١ ) .

وقال ابن النقيب ( ت٦٩٨هـ ) – في معرض تعداد أقوال الأئمة فيما يحصل به إعجاز القرآن –: « ومنهم من قال: إعجازه حصل بما فيه من نشاط القلوب الواعية وغير الواعية إليه وإقبالها بوجه المودة عليه، واستحلاء طعم عذوبة ألفاظه ومعانيه، وهشاشتها بما يتردد عليها من مبشراته المبهجة، ومنذراته المزعجة، وآياته المقلقة، وأخباره المؤنقة، مع كثرة قرعه للأسماع، وصدعه بما يخالف الطباع، ومع ذلك فالقلوب مقبلة على أذكاره، راغبة في تكراره شجية عند سماع مزماره، يجد ذلك منهم البر والفاجر، والمؤمن والكافر . . »( ٢ ) .

وقال الزرقاني – في تعديد وجوه إعجاز القرآن –: « . . فمنها الروعة التي له في قلوب السامعين وأسماعهم، سواء المقرين والجاحدين، ثم إن سامعه إن كان مؤمناً به يداخله روعة في أول سماعه وخشية ثم لا يزال يجد في قلبه هشاشة إليه ومحبة له وإن كان جاحدا وجد فيه مع تلك الروعة نفورا وعيا لا نقطاع مادته بحسن سمعه، ومنها أنه لم يزل ولا يزال ولا يزال غضا طريا في أسماع السامعين وعلى ألسنة القارئين »( ٣ ) .

قلت: وإن من أعظم براهين تأثير القرآن في النفوس، تلك الخصيصة العظيمة التي اختصه الله بها من بين سائر الكلام، وهي كثرة سماعه وتكراره، في مختلف المواقف والأوقات دون ملل أو سآمة، ممن يقرؤه أو يسمعه .

ولا أدل على ذلك من تكراره على أسماع المؤمنين في الصلوات كل يوم وليلة، حتى إنه يكثر من الأئمة في أغلب الأقطار تكرار قصار السور في الصلوات، ومع

---

( ١ ) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ص ١٦٩، وأدرجه السيوطي في معترك الأقران دون نسبة لأحد ١ / ١٨٢ .

( ٢ ) مقدمة تفسير ابن النقيب ص ٥١٥ .

( ٣ ) مناهل العرفان وانظر إعجاز القرآن للرافعي ص ٢٤٥ .

ذلك فإن أسماع الناس وأفئدتهم لا تستنكر ذلك ولا تمله، مع كثرة ما يطرقها سماعه، بل إن النفوس تألفه، والقلوب تتأثر به .

بينما نجد أن سائر الكلام غير القرآن مهما بلغ في الفصاحة والبلاغة، نظماً كان أو نثراً، لا تطيق الأسماع تكراره، ولا تقبل الطباع ترداده، وهذا من أعظم شواهد إعجاز القرآن الكريم في تأثيره على النفوس وقبولها له .

* * *

# الفصل الأول

## سر تأثير القرآن الكريم، ومن يتأثر به أكثر من غيره

للقرآن الكريم تأثير بليغ أخّاذ على النفس الإنسانية، وهذا يدل على أنه كلام الله، لأن النفس البشرية لا تتأثر هذا التأثر عندما تسمع أو تقرأ أي كلام من كلام البشر .

صحيح أن الكلام البليغ يؤثر في النفوس الواعية سواء كان هذا الكلام شعراً أم نثراً، وكلما زادت بلاغة الكلام وفصاحته ازداد تأثيره في النفوس، لكن أثر القرآن في النفوس يزيد عن تأثير أي كلام بشري فصيح فيها .

وقد أشار القرآن إلى أن له أثراً خاصاً عجيباً، حتى لو خاطب الله به الجمادات لأثر فيها وزلزلها، قال تعالى: ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (الحشر: ٢١)(١).

ولذلك ورد النص في أكثر من آية على أن إنزال القرآن إنما هو لأجل التدبر والتفكر الذي ينتج عنه التأثر بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**

---

(١) إعجاز القرآن البياني ص ٤٩١ .

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِند غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴾ (النساء٨٢)، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون٦٨)، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ (ص)، وقال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد).

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ﴾ (التوبة٦) إشارة واضحة إلى أن سماع آي القرآن الكريم له بالغ الأثر على النفوس الكافرة، فهو كفيل أن يزلزل اعتقاداتها الباطلة، ويهدي حيرتها، ويردها إلى صوابها، إذا انفتحت له قلوبهم، وأذعنت له نفوسهم.

وهذا يدعو إلى التأمل في سر تأثير القرآن، وحقيقة ذلك، وهو ما يتبين في المبحث التالي.

**المبحث الأول: سر تأثير القرآن في النفوس:**

تميز القرآن بتأثيره الخاص على النفوس، وهذا التأثير الأخَّاذ البليغ يدل على أن القرآن كلام الله تعالى.

وللقرآن سلطان خاص على الفطرة – متى خلّي بينها وبينه – وله تأثير عجيب على النفوس، وأثر قوي على القلوب «ويبقى وراء ذلك السر المعجز في هذا الكتاب العزيز .. يبقى ذلك السلطان الذي له على الفطرة – متى خلّي بينه وبينها لحظة – وحتى الذين رانت على قلوبهم الحجب وثقل فوقها الركام تنتفض قلوبهم أحياناً وتتململ تحت وطأة هذا السلطان وهم يستمعون إلى هذا القرآن.

إن الذين يقولون كثيرون، وقد يقولون كلاماً يحتوي على مبادئ ومذاهب وأفكار واتجاهات .. ولكن هذا القرآن ينفرد في إيقاعاته على فطرة البشر وقلوبهم

فيما يقول، إنه قاهر غلاب بذلك السلطان الغلاب»(١).

إن للقرآن سراً خاصاً على النفوس حتى ليبلغ أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون العربية، وعلى العوام الذين عندما يستمعون إلى تلاوته لا يطرق عقولهم منه شيء، ولكن يطرق قلوبهم إيقاعه، ويظهر على ملامحهم سره(٢).

إن كل آية وكل سورة تنبض بالعنصر المستكن العجيب المعجز في هذا القرآن، وتشي بالقوة الخفية المودعة في هذا الكلام، وإن الكيان الإنساني ليهتز ويرتجف ويتزايل، ولا يملك التماسك أمام هذا القرآن كلما تفتح القلب وصفا الحس وارتفع الإدراك وارتقت حساسية التلقي والاستجابة .. وإن هذه الظاهرة لتزداد وضوحاً كلما اتسعت ثقافة الإنسان(٣).

إن للقرآن فوق البلاغة والعذوبة والحكمة والبيان روحانية، يدركها من لا حظ له في فهم الكلام وتقدير الحكمة وإدراك البلاغة، ألا تري إلى الطفل والعامي كيف يعتريهما تهيب عند تلاوته ولو بغير صوت حسن، حتى إنهما ليكادان يفرقان بين ما هو قرآن وما ليس بقرآن ...

هذه الروحانية تظهر ظهوراً جلياً عندما تكون آية من آياته جاءت على سبيل الاستشهاد والاقتباس في صفحة كبيرة، فإنك تري تلك الآية تتجلى لك من بين السطور وخلال التراكيب، كأنها الشمس في رابعة النهار، مهما كانت درجة تلك الصفحة من البيان ومنزلتها من جمال الأسلوب وجزالة الألفاظ(٤).

إن في هذا القرآن سراً خاصاً يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداءً، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها .. إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا

---

(١) في ظلال القرآن ٣ / ١٤٢١ .

(٢) البيان في إعجاز القرآن ص ٣٤٩ .

(٣) في ظلال القرآن ٥ / ٢٨٠٥ .

(٤) دائرة معارف القرن العشرين ٧ / ٦٧٥ وإعجاز القرآن لفضل عباس ص ٣٤٣ .

القرآن، يشعر أن هنالك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير، وأن هنالك عنصراً ما ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن، يدركه بعض الناس واضحاً، ويدركه بعض الناس غامضاً، ولكنه على كل حال موجود .

هذا العنصر الذي ينسكب في الحس يصعب تحديد مصدره : أهو العبارة ذاتها؟ أهو المعنى الكامن فيها ؟ أهو الصورة والظلال التي تشعها ؟ أهو الإيقاع القرآني الخاص المتميز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللغة ؟ أهي هذه العناصر كلها مجتمعة ؟ أم أنها هي وشيء آخر وراءها غير محدد ؟! ذلك سر مودع في كل نص قرآني، يشعر به من يواجه نصوص هذا القرآن ابتداءً .. ثم تأتي وراءه الأسرار المدرَكة بالتدبر والنظر والتفكير في بناء القرآن كله(١) .

إن سر تأثير القرآن في النفس البشرية فيه كله، فكل جوانب العظمة والسمو فيه : ألفاظه ومعانيه وصوره وظلاله وإيقاعه وأسلوبه وشيء آخر بالإضافة إلى كل ذلك .

وهذا القرآن يحمل في ذاته الأدلة على أنه كلام الله، ومنها هذا التأثير البليغ الأخاذ الذي يتجلى فيه، ووجه دلالة تأثير القرآن في النفوس على مصدره الرباني أن القرآن كلام، مع ذلك تميز هذا الكلام بهذا المستوي العجيب من التأثير، ولو كان القرآن من كلام رسول الله ﷺ أو من كلام بشر، لما تحقق له هذا التأثير البليغ العجيب .

قد يقرأ الإنسان كلاماً منظوماً أو منثوراً، وقد يتأثر به، لكنه تأثر وقتي عرضي، سرعان ما يزول، مهما كان ذلك الكلام بليغاً فصيحاً، ومهما كان رائعاً جميلاً، أما القرآن فقد ارتقي في تأثيره فوق كل تأثير .

يقرأ الإنسان منا القرآن فيتأثر ثم يقرؤه مرة أخرى فيتأثر مثل المرة السابقة أو

---

(١) في ظلال القرآن ٦/٣٣٩٩ .

أكثر، وكلما زادت مرات قراءته له زاد تأثيره فيه .

والقرآن في كل مرة نقرؤه فيه يبدو جميلاً مؤثراً، وكم مرة ختمه الواحد منا، وكلما ختمه عاد لقراءته وتلاوته من جديد، لا يشبع منه العلماء، ولا يمل منه التالون القارئون، ولا تنقضي عجائبه، ولا يزول تأثيره، وهذا التأثير البليغ له يدل على أنه كلام الله(١) .

قال الشيخ الغزالي : « .. فما أظن امرأً سليم الفكر والضمير يتلو القرآن أو يستمع إليه ثم يزعم أنه لم يتأثر به، قد نقول : ولم يتأثر به ؟ والجواب أنه ما من هاجس يعرض للنفس الإنسانية من ناحية الحقائق الدينية إلا ويعرض القرآن له بالهداية وسداد التوجيه ... إن القرآن الكريم بأسلوبه الفريد يرد الصواب إلى أولئك جميعاً، وكأنه عرف ضائقة كل ذي ضيق، وزلة كل ذي زلل، ثم تكفل بإزاحتها كلها .. »(٢) .

## المبحث الثاني : من الذي يتأثر بالقرآن أكثر من غيره :

أخبر الله في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أنه لو أنزل القرآن على جبل من الجبال لأثر فيه، بحيث يخشع ويتصدع رغم قوته وصلابته، ولكن الله تعالى لم يخاطب به الجبال، وإنما خاطب به البشر، وحريّ بهم أن يتأثروا به ويخشعوا لله .

ولكنهم لم يتأثروا جميعاً بهذا القرآن، إذ منهم من تأثر به، ومنهم من أعرض عنه، فأكثر الكفار أعرضوا عنه، ولم يصغوا إليه، بل لما سمعوا آياته نفروا منه، فكانت قلوبهم أقسى من الجبال كما قال الله عن بعضهم : ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ**

---

(١) إعجاز القرآن البياني ص ٥٠٢-٥٠٣ .

(٢) نظرات في القرآن ص ١٢٧ .

**الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ** ﴾ (البقرة٧٤) .

فحجب الله القرآن وهديه عنهم، فأصم آذانهم عن الاستماع إليه والانتفاع به، وأعمى قلوبهم عن التأثر به والاهتداء بهديه، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً * وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً** ﴾ (الإسراء) .

هذا شأنهم، وأما القرآن فإن أثره على النفوس ماض، سواء المؤمنة منها أو الكافرة، ولذلك طالب المسلمين أن يتلوه على الكافر المستجير وأن يسمعوه إياه ليتأثر به، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ ( التوبة٦ ) وإلا فلا معنى لهذا الأمر لو لم يكن في طاقة هؤلاء السامعين أن يميزوا تمييزاً واضحاً بين الكلام الذي هو من نحو كلام البشر، والكلام الذي ليس من نحو كلامهم(١) وهو بالطبع ما ينتج في نفوسهم ذلك الأثر.

أما المؤمنون الذين يفتحون للقرآن قلوبهم وعقولهم وكيانهم كله، الذين أشرقت قلوبهم وشفّت أرواحهم وصفت نفوسهم، فهم أسرع من ينتفع بالقرآن وهداياته، فالقلوب الواعية، والعقول النابهة، هي المؤهلة للهداية الربانية، والوحي الإلهي .

قال الشيخ الغزالي: «ولذلك توجه القرآن مباشرة إلى العقل البشري يخاطبه ويفك عنه آصاره، ويرد عنه اعتباره، وأكد القرآن أن أصحاب هذا العقل وحده هم الذين يستطيعون فهمه وتبين معانيه ﴿ **أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ**

---

(١) انظر مداخل إعجاز القرآن ص ١٥٤ وعلوم القرآن لعدنان زرزور ص ٢٢٩ .

كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾ (الرعد) .

بل إن أصحاب هذا العقل وحده هم الذين يفهمون رسالة الوجود، ويفقهون أسرار الكون..»(١).

وأعظم نفوس البشر تأثراً بالقرآن هي التي نزل القرآن أول ما نزل عليها وهي نفس النبي ﷺ الطاهرة، ولذلك اختلف نمط حياته ﷺ تماماً عن ما كان عليه جميع من حوله، ثم اختلفت حياة صحابته عن حياة أقوامهم، وتغيرت معتقداتهم وسلوكهم وتعاملاتهم، وفق مراد الله، وإرشاد كتابه .

وقد بلغ من تأثر نفس النبي ﷺ بالقرآن الكريم أن تدمع عيناه الشريفتان عند سماعه، وهو الذي أنزل عليه القرآن(٢).

* * *

# الفصل الثاني

# تأثير القرآن في غير البشر

## المبحث الأول: تأثير القرآن في الملائكة:

إن الملائكة من أعلم الخلق بالله تعالى، ومن أخشاهم له، فهم كما وصفهم الله بقوله: ﴿ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم٦) وهم من أكثر الخلق تأثراً بالقرآن الكريم، ويظهر ذلك جلياً في المظهرين التاليين:

### المظهر الأول: نزولهم عند تلاوته:

فقد ثبت من حديث أسيد بن حضير قال: «بينما هو يقرأ من الليل سورة

---

(١) عقيدة المسلم ص ١٩١، وانظر النبأ العظيم ص ١١٤ .

(٢) سيأتي ذكر الحديث الوارد في ذلك في المبحث الثاني من الفصل الثالث وهو بعنوان: تأثير القرآن في نفوس المؤمنين، ومظاهره، في مظهر: الخشوع والبكاء ووجل القلوب عند تلاوته وسماعه .

البقرة، وفرسه مربوط عنده، إذ جالت الفرس، فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف، وكان ابنه يحيى قريباً منها، فأشفق أن تصيبه، فلما اجترَّه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها .

فلما أصبح حدث النبي ﷺ، فقال: اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير، قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريباً، فرفعت رأسي، فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها .

قال: وتدري ما ذاك؟ قال: لا، قال: تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبَحَت ينظر الناس إليها، لا تتواري منهم»(١) .

### المظهر الثاني: حضورهم مجالس القرآن:

ومن ذلك ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: « .. وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده .. »(٢) .

أي: طافوا بهم وداروا حولهم وأحاطوهم تعظيماً لصنيعهم(٣) .

### المبحث الثاني: تأثير القرآن في الجن، ومظاهره:

القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى الذي أرسل به رسوله ﷺ إلى الثقلين الإنس والجن، والجن مكلفون كالبشر، ولذلك فإن منهم المؤمنون، ومنهم الكافرون،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن ٦ / ٤٢٤ برقم ( ٥٠١٨ ) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين باب نزول السكينة لقراءة القرآن ٦ / ٧٢ برقم ( ٧٩٦ ) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ١٧ / ١٨ برقم ( ٢٦٩٩ ) .

(٣) انظر شرح سنن أبي داود للعيني ٥ / ٣٦٨ والنهاية في غريب الحديث ١ / ١٠٠٦ .

والقرآن الكريم يؤثر في نفوس الجن كتأثيره في نفوس البشر، ولتأثيره فيهم مظاهر عديدة، أبينها فيما يلي:

### المظهر الأول: إسلامهم بسماعه، وثناؤهم عليه:

بلغ من عظمة القرآن وروعته وبالغ تأثيره أن تأثر به الجن، حين سمعوه لأول وهلة، فإنهم من روعته وعذوبته أنصتوا له، كما قال الله تعالى واصفاً حالهم حين سمعوه ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا** ﴾ (الأحقاف ٢٩).

ثم وصفوه بأنه عجب، كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً** ﴾ (الجن) وهذا التعبير منهم يدل على انبهارهم الكبير، وتعجبهم الشديد مما سمعوا من آي القرآن الكريم.

ثم وصفوه بأنه ﴿ **يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ** ﴾ (الأحقاف) حيث أيقنوا أن هذا الكلام لا يمكن أن يصدر عن بشر، وإنما هو وحي من رب البشر سبحانه، وأيقنوا أنه يهدي إلى ما تهدي إليه رسالة موسى عليه السلام من الحق، حيث قالوا: ﴿ **يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ (الأحقاف ٣٠).

ولذلك أسلموا لله، وآمنوا بكتابه، وما جاء به، وأذعنوا له، وأعلنوا براءتهم من الشرك من فورهم ﴿ **فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً** ﴾ (الجن).

بل إنهم انطلقوا من فورهم دعاة ومنذرين لأقوامهم من الجن بما سمعوه من آياته البينات، وبراهينه القاطعات، كما قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ** ﴾ (الأحقاف) وشرعوا في دعوتهم إلى الإيمان بالله وبما جاء من عنده من الحق والهدي، قائلين لهم: ﴿ **يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ (الأحقاف).

وقد كانت لهم قبل سماع القرآن قصة، فقد أخرج الشيخان وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنه قال: « انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه، عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب.

فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم ؟ فقالوا: أحيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، فقالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما الذي حال بينكم وبين خبر السماء.

فانصرف أولئك الذين ذهبوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة، عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء.

فهنالك رجعوا إلى قومهم، فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً، فأنزل الله على نبيه ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ (الجن١) وإنما أوحي إليه قول الجن »(١).

**المظهر الثاني: تحصينه للإنس ووقايته لهم من الجن:**

فأعظم حصن يتحصن به الإنس من الجن وشرورهم هو القرآن الكريم، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج، وعليَّ عيال، ولي حاجة شديدة، فخليت عنه، فأصبحت، فقال لي النبي ﷺ: يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟ قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً، فرحمته وخليت سبيله، قال: أما إنه قد

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٦/ ٣٨٢ برقم (٤٩٢١) ومسلم في كتاب الصلاة باب الجهر بالقراءة ٤/ ١٣٩ الحديث (١٤٩) وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٢٢٥ وآكام المرجان ص ٥٤.

كذبك وسيعود، فعرفت أنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: دعني فإني محتاج، وعليَّ عيال، لا أعود، فرحمته وخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: ما فعل أسيرك؟ قلت: يا رسول الله شكا حاجة وعيالاً، فرحمته وخليت سبيله، فقال: أما إنه قد كذبك وسيعود، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، وهذا آخر ثلاث مرات تزعم أنك لا تعود ثم تعود، فقال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله، بها، قلت: ما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿**اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ (البقرة ٢٥٥) حتى تختم الآية، فإنك لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ: أما إنه صدقك وهو كذوب»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يتعوذ من عين الجان ومن عين الإنس، فلما نزلت المعوّذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك»(٢).

### المظهر الثالث: تأثيره على المتلبسين منهم بالإنس، وإخراجهم منهم:

ثبت في السنة أن الجن والشياطين يفرون من القرآن الكريم، وهو أشد شيء عليهم، ولذلك كان النبي ﷺ يتعوذ بالمعوذتين منهم، كما سبق، وثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»(٣).

وفي هذا الإرشاد النبوي حماية للمسلم من أذى الشياطين، حتى لا يدخلوا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ٦/٤٢٢ برقم (٥٠١٠) وابن الضريس في فضائل القرآن ص ٩٣.

(٢) أخرجه الترمذي برقم (١٦٨١) وحسنه، والنسائي ٨/٢٧١ برقم (٥٤٩٤) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/٢٠٦ برقم (٢١٥٠) وصحيح سنن النسائي ٣/١١١٦ برقم (٥٠٦٩).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين برقم ٢١٢.

بيته، وحتى لا يلحقوا به أي أذي، ومن أشد أذاهم تلبسهم بالإنس، وهو أمر معلوم مشهور، واقع في كل العصور، والحوادث في هذا كثيرة جداً(١).

وأعظم وسيلة للوقاية من هذا البلاء، ولإزالته إن وقع هي القرآن الكريم، فهو الطريق الشرعي الوحيد لخلاص من به مس من الجان، حيث يألمون أشد الألم حين يُقرأ القرآن على من تلبسوا به، بل إن بعضهم يحترق من قراءة القرآن.

ذكر ابن القيم عن أبي النضر هاشم بن القاسم قال: «كنت أري في داري جنّاً، فقيل: يا أبا النضر تحول عنا جوارنا، قال: فاشتد ذلك عليَّ فكتبت إلى الكوفة إلى ابن إدريس والمحاربي وأبي أسامة.

فكتب إلى المحاربي: إن بئراً بالمدينة كان يُقطع رشاؤها، فنزل بهم ركب فشكوا ذلك إليهم، فدعوا بدلو من ماء، ثم تكلموا بهذا الكلام فصبوه في البئر، فخرجت نار من البئر فطفئت على رأس البئر.

قال أبو النضر: فأخذت توراً من ماء، ثم تكلمت فيه بهذا الكلام، ثم تتبعت به زوايا الدار فرششته، فصاحوا بي: أحرقتنا نحن نتحول عنك»(٢).

* * *

# الفصل الثالث

## تأثير القرآن في نفوس الناس

تأثير القرآن الكريم شامل لنفوس جميع الناس مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، كما سيأتي بيان ذلك، وسوف أبين تأثيره في نفوس الناس من خلال

---

(١) وقد ألف في ذلك مؤلفات عديدة منها: آكام المرجان في أحكام الجان لبدر الدين الشبلي، ولقط المرجان في أحكام الجان للسيوطي، وعالم الجن والشياطين للدكتور عمر الأشقر.

(٢) الوابل الصيب ص ٨٢ وانظر العلاج الرباني ص ١٢٦.

المبحثين التاليين :

## المبحث الأول : تأثير القرآن في نفوس الكافرين :

والمراد بذلك عموم الكافرين سواء كانوا من العرب أو من غير العرب، وسواء كانوا من الأقدمين الذي عايشوا وقت نزول الوحي، أو الفترة التي تليه، أو من المتأخرين المعاصرين، فالوقائع التي تشهد بذلك كثيرة على مر العصور، وفيما يلي بيان ذلك .

### ١- تأثيره في الكافرين من العرب :

لقد ثبت أن القرآن جذب إليه أعداءه الكافرين، ولفت أنظارهم إلى روعته وقوته وتأثيره في مظاهر عديدة، منها على سبيل التمثيل :

١- أن أئمة الكفر منهم كانوا يجتهدون في صد رسول الله ﷺ عن قراءته في المسجد الحرام وفي مجامع العرب وأسواقهم، وكانوا يمنعون المسلمين من إظهاره حتى لقد هالهم من أبي بكر أن يصلي به في فناء داره، وذلك لأن الأولاد والنساء كانوا يجتمعون عليه يستمتعون بقراءته للقرآن .

فحين خرج أبو بكر مهاجراً قبل الحبشة، لقيه ابن الدَّغِنة فأعاده في جواره، فقالت له قريش : مُرْ أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصلِّ وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك، ولا يَسْتَعْلِنُ به، فإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا، فطفق أبو بكر يعبد ربَّه في داره ولا يَسْتَعْلِنُ بالصَّلاة ولا القراءة في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وبرز فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فَيَتَقَصَّفُ عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكَّاءً لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فقالوا لابن الدَّغِنة : إما أن يقتصر أبو بكر على أن يعبد ربه في داره، وإلا فسله أن يرد إليك ذمتك، فقال أبو

بكر إني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله( ١ ) .

٢– أن الكفار ذعروا ذعراً شديداً من قوة تأثير القرآن ونفوذه إلى النفوس رغم صدهم عنه واضطهادهم لمن أذعن له، فتواصوا على ألا يسمعوه، وتعاقدوا على أن يلغوا فيه إذا سمعوه ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ ( فصلت ) .

٣– أنهم مع حربهم له، ونفورهم مما جاء به كانوا يخرجون في جنح الليل البهيم يستمعون إليه والمسلمون يرتلونه في بيوتهم وما ذاك إلا لأنه استولى على مشاعرهم، ولكن أبى عليهم عنادهم وكبرهم وكراهتهم للحق أن يؤمنوا به ﴿ بَلْ جَاءهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ ( المؤمنون ) .

ومن ذلك ما رواه ابن إسحاق أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس ابن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي من الليل في بيته .

فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثانية، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا في أول مرة، ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثالثة، أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى

---

( ١ ) والخبر بتمامه في صحيح البخاري، كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ ٢ / ٨٢ الحديث رقم ( ٢٢٩٧ ) .

نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا .

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتي أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد، فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها، قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به كذلك .

قال ثم خرج من عنده حتى أتي أبا جهل فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدقه، قال فقام عنه الأخنس وتركه(١) .

ومن ذلك أيضاً: ما روى ابن إسحاق: ( أن عتبة بن ربيعة – وكان سيداً – قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيها شاء ويكف عنا، وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلمه .

فقام إليه عتبة، حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت: من السِّطَة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفَّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص١٦٩–١٧٠ وانظر عيون الأثر ١ /١٤٦ والسيرة النبوية لابن كثير والروض الأنف ٢ /٨١ .

فيها لعلك تقبل منها بعضها .

قال: فقال رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد أسمع، قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا، حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، أو كما قال له، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال: نعم، قال: فاستمع مني قال: أفعل، فقال: ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ **حم* تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ* بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ* وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ** ﴾ (فصلت).

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها، يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما، يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك.

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم، قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه،

فاصنعوا ما بدا لكم )(١).

ومن هذا القبيل أيضاً ما ورد عن ابن عباس: ( أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه، فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوه لك، فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر أو أنك كاره له، قال: وماذا أقول ؟! فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، ولا برجزه ولا بقصيده مني، ولا بشاعر الجن، والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلوا وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، ففكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره، فنزلت ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾ (المدثر»(٢).

٤- أن بعض شجعانهم وصناديدهم كان يحمله طغيانه وكفره وتحمسه لموروثه على أن يخرج من بيته شاهراً سيفه معلناً غدره، ناوياً القضاء على دعوة القرآن ومن جاء بالقرآن، فما يلبث حين تدركه لمحة من لمحات العناية، وينصت إلى صوت القرآن في سورة أو آية، أن يذل للحق ويخشع، ويؤمن بالله ورسوله وكتابه ويخضع(٣).

من ذلك ما جاء في قصة إسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ رضي الله

---

(١) ليست في الجزء المطبوع من سيرة ابن إسحاق، وإنما نقلها ابن هشام عنه في السيرة النبوية ١/٣٠٥ وانظر عيون الأثر ١/١٤٠ والروض الأنف ٢/٤٦ والبداية والنهاية ٣/٨٢ .

(٢) أخرجه الحاكم في كتاب التفسير (سورة المدثر) وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ٢/٥٠٦، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/١٩٨ وابن كثير في السيرة النبوية ١/٤٤٩ والبداية والنهاية ٣/٧٨ وابن هشام في السيرة ١/٢٩٤ .

(٣) انظر مناهل العرفان ٢/٤٠٧ وعناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ص ٥٣، وسيأتي ذكر نماذج لذلك في المطلب التالي: تأثير القرآن في نفوس الكافرين من العرب .

عنهما، فإنهما لما سمعا بخروج مصعب مع أسعد بن زرارة إلى دارهما، قال سعد لأسيد: لا أبا لك انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي، ولا أجد عليه مقدماً.

فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه، فوقف عليهما متشتِّماً، قال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره، قال: أنصفت ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم به في إشراقه وتسهُّله.

ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ – وساق بقية خبره، ثم ذكر مجيء سعد بن معاذ إلى مصعب وأسعد ابن زرارة – وفيه: أنه وقف عليهما متشتِّماً، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارينا بما نكره، فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن، قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتسهُّله..(١).

## نماذج ممن أسلم من العرب لسماع القرآن الكريم:

لقد سجل التاريخ نماذج كثيرة لزمرة من الكافرين العرب الذين تأثروا بالقرآن

---

(١) انظر عيون الأثر ١/٢١١ والسيرة النبوية لابن كثير ٢/١٨٢ ولابن هشام ٢/٤٥٨.

الكريم، حيث كان سماعهم له محور انتقال مما كانوا عليه من عقيدة الكفر والإشراك بالله تعالى إلى عقيدة التوحيد والإيمان بالله وحده، فتغيرت بذلك حياتهم، وحسنت أخلاقهم، وعظمت سيرتهم، وتعددت مناقبهم .

ومن ذلك قصة أسيد بن حضير وسعد بن معاذ الآنفة الذكر، ومنها أيضاً ما روته كتب السير من إسلام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، حيث ذكر في قصة إسلامه رضي الله عنه روايات، أشهرها: أنه خرج يوماً متوشّحاً بسيفه يريد الرسول ﷺ ورهطاً من أصحابه اجتمعوا في بيت عند الصفا، فلقيه نعيم بن عبد الله، فقال له: أين تريد يا عمر، فقال: أريد محمداً هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها فأقتله .

فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أتري بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ! قال: وأي أهل بيتي ؟ قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه، فعليك بهما.

فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه وعندهما خبّاب بن الأرتّ معه صحيفة فيها ﴿ طه ﴾ يقرئهما إياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خبّاب، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خبّاب عليهما .

فلما دخل قال: ما هذه الهينمة التي سمعت قالا له: ما سمعت شيئاً قال: بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه، وبطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها.

فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع

ما بدا لك، فلما رأي عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤون آنفاً، ما هذا الذي جاء به محمد ؟ وكان عمر كاتباً، فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي وحلف له بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها .

فلما قال ذلك طمعت في إسلامه، فقالت له: يا أخي إنك نجس على شركك، وإنه لا يمسها إلا الطاهر، فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها ﴿ طه ﴾ فقرأها.

فلما قرأ منها صدراً قال ما أحسن هذا الكلام وأكرمه، فلما سمع ذلك خبّاب خرج إليه فقال له: يا عمر والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب، فالله الله يا عمر، فقال له عند ذلك عمر فدلني يا خبّاب على محمد حتى آتيه فأسلم( ١ ).

وفي رواية أخرى: أن عمر خرج يوماً يبحث عن الخمر ليشربها، فلم يجد شيئاً، وفيها أنه قال: ( فقلت لو أني جئت الكعبة فطفت بها سبعاً أو سبعين .

قال: فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي، وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام، وكان مصلاه بين الركنين، الركن الأسود والركن اليماني .

قال: فقلت حين رأيته: والله لو أني استمعت من محمد الليلة حتى أسمع ما يقول، فقلت: لئن دنوت منه أستمع لأروعنه، فجئت من قبل الحجر، فدخلت تحت ثيابها، فجعلت أمشي رويداً ورسول الله ﷺ قائم يصلي يقرأ القرآن، حتى

---

( ١ ) انظر السيرة النبوية لابن كثيرة ٢/٣٥ والروض الأنف ٢/١١٩ والكامل في التاريخ ١/٦٠٢ والبداية والنهاية ٣/١٠١ والسيرة النبوية لابن هشام ١/٣٥٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٢٦٨ .

قمت في قبلته مستقبله، ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة .

قال: فلما سمعت القرآن رق له قلبي، فبكيت ودخلني الإسلام ...(١) إلى آخر الرواية .

وفي رواية ثالثة: أخرجها أحمد من رواية شريح بن عبيد قال: قال عمر: «خرجت أتعرض لرسول الله ﷺ، فوجدته سبقني إلى المسجد فقمت إلى المسجد، فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن، فقلت: هذا شاعر، كما قالت قريش، قال فقرأ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ﴾ (الحاقة) فقلت: كاهن، قال ﴿وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الحاقة) حتى ختم السورة، قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع»(٢) .

وأياً كانت قصة إسلامه هذه أو تلك فإن تأثره بالقرآن الكريم وما سمعه منه أو قرأه يبدو جلياً وواضحاً، وهو الدافع الأكبر له على اعتناقه الإسلام وإشهاره .

– ومن ذلك أيضاً قصة الطفيل بن عمرو الدوسي: حين قدم مكة ورسول الله ﷺ بها، فمشي إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: يا طفيل إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٣٧ ولابن هشام ١ / ٣٥٨ وسبل الهدى والرشاد ٢ / ٣٧٢ .

(٢) المسند ١ / ١٧ وانظر الإصابة ٧ / ٧٦، قال الدكتور أكرم ضياء العمري في عرضه لقصة إسلام عمر رضي الله عنه: (أما قصة استماعه القرآن يتلوه الرسول ﷺ قرب الكعبة، وعمر مستخف بأستارها، وكذلك قصته مع أخته فاطمة حين لطمها لإسلامها، وضرب زوجها سعيد بن زيد، ثم اطلاعه علي صحيفة فيها آيات وإسلامه، فلم يثبت شيء من هذه القصص من طريق صحيحة ... ولا شك أن القرآن ببيانه الساحر، وروعة تصويره .. كان له تأثير في اجتذاب عمر إلى صف المسلمين، لأن عمر كان يتذوق الكلام البليغ، ويعجب به، وعدم ثبوت الروايات حديثياً لا يعني حتمية عدم وقوعها تاريخياً ) السيرة النبوية الصحيحة١ / ١٨٠ .

ما قد دخل علينا، فلا تكلمه ولا تسمعن منه شيئاً .

قال فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفاً فرقاً أن يبلغني شيء من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه، قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، فقمت منه قريباً فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، قال: فسمعت كلاماً حسناً، فقلت في نفسي واثُكْلَ أمي والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليَّ الحسن من القبيح فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته .

قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا، فوالله ما بَرِحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعته قولاً حسناً، فاعرض عليَّ أمرك، قال: فعرض عليّ رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا عليّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق..(١) الخ .

– ومن ذلك أيضاً ما ورد عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ **﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ﴾** (الطور) كاد قلبي أن يطير»(٢) .

والوقائع المعاصرة لمن أسلم لسماع القرآن أو قراءة بعض آياته أو التأمل في معانيه

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن كثير ٢/٧٣ ولابن هشام ١/٣٩٣ وسبل الهدى والرشاد ٢/٤١٧ وأسد الغابة ٢/٤٠ والاستيعاب ٥/٢٢٤ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٦/٣٥٤ برقم (٤٨٥٤) ومسلم في كتاب الصلاة، باب القراءة في الصبح ٤/١٥١ الحديث (١٧٤).

كثيرة جداً(١) أذكر منها على سبيل المثال قصة فتاة مصرية نصرانية تدعى (سناء) تقول فيها:

«نشأت على التعصب للدين النصراني، وحرص والدي على اصطحابي معهما إلى الكنيسة صباح كل يوم أحد لأقبل يد القس، وأتلو خلفه التراتيل الكنسية، وأستمع إليه وهو يخاطب الجمع ملقناً إياهم عقيدة التثليث، ومؤكداً عليهم بأغلظ الأيمان أن غير المسيحيين مهما فعلوا من خير فهم مغضوب عليهم من الرب، لأنهم - حسب زعمه - كفرة ملاحدة ..

كبرت قليلاً ودخلت المدرسة، وبدأت بتكوين صداقات مع زميلاتي في المدرسة ... إحدى زميلاتي المسلمات ربطتني بها على وجه الخصوص صداقة متينة، فكنت لا أفارقها إلا في حصص التربية الدينية، إذ كنت كما جرى النظام أدرس مع طالبات المدرسة النصرانيات مبادئ الدين النصراني على يد معلمة نصرانية ..

وتنتقل أسرة أعز صديقاتي إلى القاهرة، ويومها بكينا لألم الفراق، وتبادلنا الهدايا والتذكارات، ولم تجد صديقتي المسلمة هدية تعبر بها عن عمق وقوة صداقتها لي سوى مصحف شريف في علبة قطيفة أنيقة صغيرة، قدمتها لي قائلة: (لقد فكرت في هدية غالية لأعطيك إياها ذكرى صداقة عمر عشناه سوياً فلم أجد إلا هذا المصحف الشريف الذي يحتوي كلام الله ) تقبلت هدية صديقتي المسلمة شاكرة فرحة، وحرصت على إخفائها عن أعين أسرتي التي ما كانت لتقبل أن تحمل ابنتهم المصحف الشريف ..

ومرت الأيام وتزوجت من (شماس) كنيسة العذراء مريم، ومع متعلقاتي

---

(١) فكثيراً ما ينشر في الصحف أخبار عمن أسلم حديثاً، وكثير منهم كان إسلامه لسماع القرآن الكريم، وفي مكاتب توعية الجاليات من أخبار ذلك الشيء الكثير .

الشخصية حملت هدية صديقتي المسلمة ( المصحف الشريف ) وأخفيته بعيداً عن عيني زوجي الذي عشت معه كأي امرأة شرقية وفية مخلصة . .

وتوظفت في ديوان عام المحافظة، وهناك التقيت بزميلات مسلمات متحجبات، ذكرنني صديقتي الأثيرة ... وبمرور الوقت بدأت أفكر في حقيقة الإسلام والمسيحية، وأوازن بين ما أسمعه من الكنيسة عن الإسلام والمسلمين، وبين ما أراه وألمسه بنفسي، وهو ما يتناقض مع أقوال القسس والمتعصبين النصارى . .

بدأت أحاول التعرف على حقيقة الإسلام، وأنتهز فرصة غياب زوجي لأستمع إلى أحاديث المشايخ عبر الإذاعة والتلفاز، علّي أجد الجواب الشافي لما يعتمل في صدري من تساؤلات . . وجذبتني تلاوة الشيخ محمد رفعت، والشيخ عبد الباسط عبد الصمد للقرآن الكريم، وأحسست وأنا أستمع إلى تسجيلاتهم عبر المذياع أن ما يرتلانه لا يمكن أن يكون كلام بشر، بل هو وحي إلهي .

وعمدت يوماً أثناء وجود زوجي في الكنيسة إلى دولابي، وبيد مرتعشة أخرجت كنزي الغالي ( المصحف الشريف ) فتحته وأنا مرتبكة، فوقعت عيناي على قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ (آل عمران ) ارتعشت يدي أكثر، وتصبب وجهي عرقاً، وسرت في جسمي قشعريرة، وتعجبت لأني سبق أن استمعت إلى القرآن كثيراً في الشارع والتلفاز والإذاعة، وعند صديقاتي المسلمات، لكني لم أشعر بمثل هذه القشعريرة التي شعرت بها وأنا أقرأ من المصحف الشريف مباشرة بنفسي .

هممت أن أواصل القراءة إلا أن صوت أزيز مفتاح زوجي وهو يفتح باب الشقة حال دون ذلك، فأسرعت وأخفيت المصحف الشريف في مكانه الأمين.

وفي اليوم التالي ذهبت إلى عملي وفي رأسي ألف سؤال حائر، إذ كانت الآية الكريمة التي قرأتها قد وضعت الحد الفاصل لما كان يؤرقني حول طبيعة عيسى

عليه السلام، أهو ابن الله كما يزعم القسيس؟ أم أنه نبي كريم كما يقول القرآن؟ فجاءت الآية لتقطع الشك باليقين . .

تساءلت في نفسي وقد عرفت الحقيقة الخالدة، حقيقة أن ( لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ) أيمكن أن أشهر إسلامي؟ وما موقف أهلي مني، بل ما موقف زوجي ومصير أبنائي؟!

وجاء اليوم الموعود اليوم الذي تخلصت فيه من كل شك وخوف وانتقلت فيه من ظلام الكفر إلى نور الإيمان، فبينما كنت جالسة ساهمة الفكر، شاردة الذهن، أفكر فيما عقدت العزم عليه، تناهى إلى سمعي صوت الأذان من المسجد القريب داعياً المسلمين إلى لقاء ربهم وأداء صلاة الظهر .

تغلغل صوت الأذان داخل نفسي، فشعرت بالراحة النفسية التي أبحث عنها، وأحسست بضخامة ذنبي لبقائي على الكفر، على الرغم من عظمة نداء الإيمان الذي كان يسري في كل جوانحي، فوقفت بلا مقدمات لأهتف بصوت عال بين ذهول زميلاتي : ( أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ) فأقبل عليَّ زميلاتي وقد تحيرن من ذهولهن، مهنئات باكيات بكاء الفرح، وانخرطت أنا أيضاً معهن في البكاء، سائلة الله أن يغفر لي ما مضى من حياتي، وأن يرضى عليَّ في حياتي الجديدة . . »(١) إلى آخر ما ذكرته في قصتها .

### ٢- تأثيره في الكافرين من غير العرب :

وهذا أيضاً واقع ومعلوم، ومما يدل على تأثر الكافرين من غير العرب بالقرآن الكريم، أمور عديدة :

- منها : أن بعضهم أسلم حين سمع آيات القرآن الكريم، وإن كان لا يفهم من معناها شيئاً وإنما ليقينه بأن هذا الكلام قطعاً ليس بكلام بشر .

---

(١) ذكرتها مجلة الفيصل في العدد رقم ١٦٥، ونقلها صاحب كتاب ( التائبون إلى الله ) ١ / ٢١٥ .

– ومنها: ثناء كثير منهم على القرآن الكريم وإن لم يسلموا، وشهادتهم بأنه كلام مختلف تماماً عن كلام البشر، أو وصفهم له بأنه من جنس كلام الكتب السماوية السابقة .

– ومنها: معالجتهم لبعض مرضاهم النفسيين بإسماعهم آيات القرآن الكريم، وهي طريقة يستعملها بعض الأطباء النفسيين في عياداتهم، لما رأوه من تأثير القرآن على النفوس، وارتياحها عند سماعه(١) .

وقد أثنى الله تعالى على بعض أهل الكتاب من النصارى الذين سمعوا القرآن فعرفوا أنه الحق، ولم يستكبروا عنه، بل تأثروا به، وفاضت أعينهم بالدموع، لمعرفتهم بأنّه حقٌّ، فقال تعالى: ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ (المائدة) .

فإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول من هذا القرآن اهتزت مشاعرهم، ولانت قلوبهم، وفاضت أعينهم بالدمع، تعبيراً عن التأثر العميق العنيف بالحق الذي سمعوا، والذي لا يجدون له في أول الأمر كفاء من التعبير إلا الدمع الغزير، وهي حالة معروفة في النفس البشرية حين يبلغ بها التأثر درجة أعلى من أن يفي بها القول، فيفيض الدمع ليؤدي ما لا يؤديه القول، وليطلق الشحنة الحبيسة من التأثر العميق العنيف(٢) .

قال الإمام الطبري في تفسيره: « .. ﴿ **وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ** ﴾

---

(١) كما سيأتي بيان ذلك في المبحث الثاني في مظهر: شفاء القرآن للنفوس والأبدان .

(٢) في ظلال القرآن ٢ / ٩٦٢ .

يقول: ولتجدن أقربَ الناس مودةً ومحبة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون عن قبول الحق واتّباعه والإذعان به(١).

ثم ذكر رحمه الله عدة أقوال في من نزلت فيه هذه الآيات فقال: «قيل: إن هذه الآية والتي بعدها نزلت في نفرٍ قدموا على رسول الله ﷺ من نصارى الحبشة، فلما سمعوا القرآن أسلموا واتبعوا رسول الله ﷺ»(٢) وأورد روايات عمن قال ذلك.

ثم قال: «وقيل: إنها نزلت في النجاشيّ ملك الحبشة وأصحابٍ له أسلموا معه(٣) فقد بعث النجاشيّ وفداً إلى النبي ﷺ فقرأ عليهم النبي ﷺ فأسلموا، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ**﴾ إلى آخر الآية، فرجعوا إلى النجاشيّ فأخبروه فأسلم، فلم يزل مسلمًا حتى مات، فقال رسول الله ﷺ: إنّ أخاكم النجاشيَّ قد مات، فصلُّوا عليه، فصلّى عليه رسول الله ﷺ بالمدينة، والنجاشي ثَمَّ»(٤).

وفيه أن الذين بعثهم النجاشيّ إلى رسول الله ﷺ اثني عشر رجلاً من الحبشة، سبعةً قسيسين وخمسةً رهبانًا، ينظرون إليه ويسألونه، فلما لقوه فقرأ عليهم ما أنزل الله بَكَوْا وآمنوا، فأنزل الله عليه فيهم ﴿**وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾ فآمنوا، ثم رجعوا إلى النجاشيّ، فهاجر النجاشيّ معهم، فمات في الطريق، فصلى عليه رسول الله ﷺ والمسلمون

---

(١) جامع البيان ٨/٥٩٤ .

(٢) جامع البيان ٨/٥٩٤ .

(٣) وكذلك نص عليه الواحدي في أسباب النزول ص٢٣٤ واستشهد له بالروايات التي ذكرها الطبري وكذلك ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١١٨٤، وانظر الصحيح المسند من أسباب النزول ص٩٩

(٤) جامع البيان ٨/٥٩٤ .

واستغفروا له»(١).

ثم ذكر قولاً ثالثاً، فقال: «وقال آخرون: بل هذه صفة قوم كانوا على شريعة عيسى من أهل الإيمان، فلما بعث الله تعالى ذكره نبيَّه محمداً ﷺ آمنوا به»(٢).

ثم عقَّب بقوله: «والصواب في ذلك من القول عندي: أنّ الله تعالى وصف صفة قوم قالوا ﴿إِنَّا نَصَارَى﴾ أن نبيّ الله ﷺ يجدهم أقربَ الناس وِداداً لأهل الإيمان بالله ورسوله، ولم يسمِّ لنا أسماءهم، وقد يجوز أن يكون أريد بذلك أصحابُ النجاشي، ويجوز أن يكون أريد به قومٌ كانوا على شريعة عيسى، فأدركهم الإسلام فأسلموا لما سمعوا القرآن وعرفوا أنه الحق، ولم يستكبروا عنه»(٣).

ثم قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسير قوله تعالى: **﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾** «يقول تعالى ذكره: وإذا سمع هؤلاء الذين قالوا **﴿إِنَّا نَصَارَى﴾**– الذين وصفت لك يا محمد صفتهم أنك تجدهم أقرب الناس مودة للذين آمنوا – ما أنزل إليك من الكتاب يُتلى **﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾** وفيض العين من الدمع، امتلاؤها منه، ثم سيلانه منها، كفيض النهر من الماء وفيض الإناء، وذلك سيلانه عن شدة امتلائه . . .

وقوله: **﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ﴾** يقول: فيض دموعهم، لمعرفتهم بأنّ الذي يتلى عليهم من كتاب الله الذي أنزله إلى رسول الله حقٌّ . . .»(٤).

---

(١) جامع البيان ٨/٥٩٦، وصلاة النبي ﷺ على النجاشي ثابتة في صحيح مسلم بروايات عديدة عن أبي هريرة وجابر بن عبد الله وعمران بن حصين رضي الله عنهم . انظر صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب في التكبيرعلى الجنازة، الحديث رقم (٩٥١-٩٥٣) ٧/١٩ .

(٢) جامع البيان ٨/٥٩٧ .

(٣) الإحالة السابقة .

(٤) جامع البيان ٨/٦٠١ .

وأياً كان من نزلت فيه الآيات سواء كانوا الذين قالوا إنا نصارى من القسيسين والرهبان أو نصارى الحبشة، أو ملك الحبشة وأصحابه أو القوم الذين كانوا على شريعة عيسى عليه السلام، فإن سماعهم للقرآن كان مؤثراً في نفوسهم، أدى إلى أن فاضت أعينهم بالدموع، وقادهم سماعه إلى التصديق والإيمان به، والاعتراف بأنه الحق .

- ومما يذكر في هذا المطلب من تأثير القرآن في نفوس الكافرين من غير العرب ما ذكره سيد قطب رحمه الله عن سيدة يوغسلافية لا تعرف العربية ولا تفهم منها شيئاً، وتأثرها لدى سماعها آيات القرآن، حيث قال: «إن الأداء القرآني يمتاز ويتميز من الأداء البشري .. إن له سلطاناً عجيباً على القلوب ليس للأداء البشري، حتى ليبلغ أحياناً أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفاً ...

أذكر حادثاً وقع لي، وكان عليه معي شهود ستة، وذلك منذ حوالي خمسة عشر عاماً .. كنا ستة نفر من المنتسبين للإسلام على ظهر سفينة مصرية تمخر بنا عباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك، من بين عشرين ومائة راكب وراكبة أجانب، ليس فيهم مسلم ..

وخطر لنا أن نقيم صلاة الجمعة في المحيط على ظهر السفينة ! والله يعلم أنه لم يكن بنا أن نقيم الصلاة ذاتها أكثر مما كان بنا حماسة دينية إزاء مبشر كان يزاول عمله على ظهر السفينة، وحاول أن يزاول تبشيره معنا ! ..

وقد يسر لنا قائد السفينة - وكان إنجليزياً - أن نقيم صلاتنا، وسمح لبحارة السفينة وطهاتها وخدمها - وكلهم نوبيُّون مسلمون - أن يصلي منهم معنا من لا يكون في الخدمة وقت الصلاة، وقد فرحوا بهذا فرحاً شديداً إذ كانت المرة الأولى التي تقام فيها صلاة الجمعة على ظهر السفينة .

وقمت بخطبة الجمعة وإمامة الصلاة، والركاب الأجانب معظمهم متحلِّقون

يرقبون صلاتنا، وبعد الصلاة جاءنا كثيرون منهم، يهنئوننا على نجاح القداس !! فقد كان هذا أقصى ما يفهمونه من صلاتنا .

ولكن سيدة من هذا الحشد – عرفنا فيما بعد أنها يوغسلافية مسيحية، هاربة من جحيم ( تيتو ) وشيوعيته – كانت شديدة التأثر والانفعال، تفيض عيناها بالدمع، ولا تتمالك مشاعرها، جاءت تشد على أيدينا بحرارة، وتقول – في إنجليزية ضعيفة – إنها لا تملك نفسها من التأثر العميق بصلاتنا هذه وما فيها من خشوع ونظام وروح .

وليس هذا موضع الشاهد في القصة .. ولكن في قولها: أي لغة هذه التي كان يتحدث بها ( قسيسكم ) فالمسكينة لا تتصور أن يقيم الصلاة إلا قسيس – أو رجل دين – كما هو الحال عندها في مسيحية الكنيسة، وقد صححنا لها هذا الفهم وأجبناها .

فقالت: إن اللغة التي يتحدث بها ذات إيقاع موسيقي عجيب، وإن كنت لم أفهم منه حرفاً، ثم كانت المفاجأة الحقيقية لنا وهي تقول: ولكن ليس هذا الموضوع الذي أريد أن أسأل عنه .. إن الموضوع الذي لفت حِسِّي هو أن ( الإمام ) كانت ترد في كلامه بهذه اللغة الموسيقية فقرات من نوع آخر غير بقية كلامه، نوع أكثر موسيقية وأعمق إيقاعاً .. هذه الفقرات الخاصة كانت تحدث فيَّ رعشة وقشعريرة، إنها شيء آخر كما لو كان ( الإمام ) مملوءاً من الروح القدس – حسب تعبيرها المستمد من مسيحيتها – وتفكرنا قليلاً ثم أدركنا أنها تعني الآيات القرآنية التي وردت في أثناء الخطبة وفي أثناء الصلاة، وكانت مع ذلك مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة من سيدة لا تفهم مما نقول شيئاً»(١).

– وفي قصة أخرى لفتاة أمريكية تدعى ( شارون ): تحدثت عن بداية حياتها

---

(١) في ظلال القرآن ٣/١٧٨٦ .

مع أهلها، ومع الكنيسة والأناجيل والقساوسة، وأنها كانت فتاة مشاكسة متمردة على الجميع، وحتى تحصل على الهدوء والطمأنينة طلبت من الله أن يرزقها رجلاً مسيحياً متديناً يتزوجها، فساق الله لها رجلاً فلسطينياً مسلماً ..

قالت في رسالتها: « .. كان أول رجل طلبني للزواج فلسطينياً، وكان به عيبان لم أردهما في الرجل الذي سيتزوجني، كان عربياً وكان مسلماً، ولكنه على الرغم من ذلك كان يختلف عن أي رجل قابلته في حياتي، فلم يكن يشرب الخمر، وكان مستقيماً ...

تزوجنا لكن زواجنا كان سيئاً للغاية، وقلت له بأن لا يناقش دينه معي أبداً ألبتة، فلم يفعل ذلك، وجعلت حياته بؤساً في البداية ..

وفي إحدى الليالي أحضر لي معه قرآناً، أعطاه لي قائلاً، هذا هو كتابنا المقدس، وإنني أستطيع أن أقرأ فيه إن أردت، فرددت عليه قائلة: ضعه هناك فأنا لا أريد أن أقرأ فيه، وانتظرته حتى غط في نوم عميق، ثم دعوت الله قائلة: يا إلهي أرني إن كان هذا القرآن هو الحقيقة أم لا، فإن كان هو الحقيقة فسوف أقبله، ولكن أرني ذلك .

وفتحت القرآن عشوائياً وإذا بي أفتح على سورة العلق فقرأت قوله تعالى: **﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾** فشعرت بعاطفة من نوع جديد تسري في عروقي ثم فتحت القرآن عشوائياً على صفحة أخرى فإذا بي أقرأ قوله تعالى في سورة سبأ: **﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾** .

فجأة وللمرة الأولى في حياتي كنت مدركة تماماً أنني أحمل بين يديَّ كتاباً في غاية القداسة، وشعرت برهبة شديدة، فقد عرفت أنني أحمل بين يدي كلام الله.

وعندئذ عرفت بأن الله لم يكرهني عندما أرسل إلى زوجاً مسلماً عربياً، بل كان ذلك رحمة منه، لكي أجد هذه المعجزة وهذه الحقيقة التي طالما بحثت عنها، أحسست بسعادة تغمرني، حيث وجدت الكنز أخيراً، وعرفت بأن الله منحني الرحمة لأنه قادني لأجد الحقيقة .

وفي تلك اللحظة شعرت بخجل شديد من نفسي لأني كنت في غاية السخرية تجاه خالقي وإلهي الرحيم، وجلست متسمرة في مكاني لبعض الوقت، مبتهجة بكنزي الجديد، وكانت الساعة تشير إلى الرابعة صباحاً، ولكن هذا لم يكن يهمني، فقد وجدت المعجزة .

وركضت لأوقظ زوجي قائلة: استيقظ يا حبيبي، أريد أن أقول لك شيئاً فاستيقظ وقال: عن أي شيء تتحدثين؟ قلت له: القرآن ذلك الكتاب الذي أعطيتني إياه، إنه معجزة من الله، لماذا لا تصرخون بأعلى صوتكم أيها المسلمون لتعلموا الناس كتاب الله؟

ابتسم زوجي قائلاً: القرآن كلام الله، وكل آية في القرآن معجزة، فقلت: أشهد أن لا إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله»(١) .

## المبحث الثاني: تأثير القرآن في نفوس المؤمنين ومظاهره:

إن أعظم من يقدر القرآن قدره، ويؤثر في نفسه ويتغلغل في أعماقه هم المسلمون المؤمنون المخبتون، فإن القرآن يترك على قلوبهم ونفوسهم وكيانهم وحياتهم أثراً بالغاً، ويتجلى أثره في اهتدائهم بهديه، وعملهم بمقتضاه، حتى أولئك الذين كانوا من أعدائه وشانئيه، ثم آمنوا به وأصبحوا من تابعيه، وكان من نتائج تأثرهم به:

- تنافسهم في حفظه وقراءته، حتى طاب لهم أن يهجروا لذيذ منامهم من

---

(١) مجلة الفرقان (العدد السادس) تموز ٢٠٠٠م ربيع الثاني ١٤٢١هـ، ص ٦٩–٦٠ .

أجل تهجدهم به حتى كان المار على بيوت الصحابة بالليل يسمع لها دوياً كدوي النحل بالقرآن، وكانت المرأة ترضى وتغتبط أن يكون مهرها سورة يعلمها إياها زوجها من القرآن .

٢- علمهم به وتنفيذهم لتعاليمه في كل شأن من شؤونهم تاركين كل ما كانوا عليه مما يخالف تعاليمه ويجافي هداياته .

٣- استبسالهم في نشر القرآن والدفاع عنه وعن هدايته .

٤- ذلك النجاح الباهر الذي أحرزه القرآن في هداية العالم، في العقائد والأخلاق وفي العبادات والمعاملات وفي السياسة والإدارة وفي كافة نواحي الإصلاح الإنساني(١) .

وكان لتأثير القرآن في نفوسهم مظاهر عديدة، أذكر فيما يلي أهمها :

## المظهر الأول : زيادة الإيمان :

إن من أبرز مظاهر تأثير القرآن في نفوس المؤمنين زيادة إيمانهم عند تلاوته أو سماع آياته، كما قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً** ﴾ (الأنفال٢ ) وقال أيضاً : ﴿ **وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾ (التوبة) .

فزيادة الإيمان التي هي من عقائد أهل السنة وقواعدهم المقررة من أعظم أسبابها ومحصلاتها تلاوة آيات القرآن الكريم، أو سماعها، وهو أهم مظهر من مظاهر التأثر بالقرآن الكريم، لأن من زاد إيمانه بسبب القرآن الكريم سيّر حياته وفق مراد الله تعالى، وعلى منهج كتابه العظيم، وعلى طريقه نبيه الكريم ﷺ فاستحق بذلك رضوان الله تعالى .

---

(١) انظر مناهل العرفان ٢/ ٤٠٩ .

### المظهر الثاني: التوقف عند آياته والعمل بمدلوله:

وهذا المظهر من مظاهر تأثير القرآن في نفوس المؤمنين، نلمسه منطبقاً تماماً على واقع الصدر الأول من الصحابة رضوان الله عليهم في حياتهم كلها، ففي حين كان الواحد منهم يمارس أصنافاً من الأفعال والموروثات الجاهلية، ثم يتنزل القرآن بتحريم بعضها، أو تقييده، نجد أنهم ألزموا أنفسهم وذللوها لحكم الله، وتخلوا عن موروثاتهم وتعاملاتهم مباشرة .

ومن أوضح البراهين على ذلك حالهم مع الخمر التي كانوا يشربونها طيلة حياتهم السالفة، فألفوها واعتادوها، ومع ذلك لما نزل تحريمها في القرآن في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** ﴾ (المائدة) قالوا من فورهم انتهينا انتهينا، وتخلوا عن الخمر رغم إلفهم لها، وشغف كثير منهم بها، وأهرقوها حتى سالت بها أزقة المدينة(١).

ومن شواهد تأثر نفوسهم بالقرآن، ورجوعهم بسماعه إلى الحق والصواب، وامتثالهم المباشر لمدلوله، ما وقع لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين توفي النبي ﷺ فإنه من هول الحدث أنكر أن يكون النبي ﷺ قد مات، إلى أن سمع أبا بكر يتكلم ويتلو آيات من القرآن، سمعها عمر وكأنه يسمعها لأول وهلة، وكأنه يفيق من رقدة، فأيقن بالحق .

فمن ذلك ما ورد خبر وفاة رسول الله ﷺ لما قام عمر بن الخطاب فقال: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وإن رسول الله ﷺ ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين

---

(١) انظر سنن أبي داود ٣/٣٢٥ (٣٦٧٠) وسنن الترمذي ٥/٢٥٣ (٣٠٤٩) وسنن النسائي ٨/٢٨٦ .

ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل: قد مات.

والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات.

وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد، حين بلغه الخبر وعمر يكلم الناس، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة، ورسول الله ﷺ مسجىً في ناحية البيت، عليه بُرْد حبرة.

فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ ثم أقبل عليه فقبله، ثم قال: بأبي أنت وأمي، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبداً، قال: ثم رد البرد على وجه رسول الله ﷺ.

ثم خرج وعمر يكلم الناس، فقال: على رسلك يا عمر، أنصت، فأبي إلا أن يتكلم، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر.

فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا هذه الآية ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ (آل عمران) قال: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذٍ، وأخذها الناس عن أبي بكر، فإنما هي في أفواههم.

قال أبو هريرة: قال عمر: فوالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت، حتى وقعت إلى الأرض، ما تحملني رجلاي، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات(١).

---

(١) انظر سبل الهدى والرشاد ١٢/ ٣٠١ والروض الأنف ٤/ ٤٤٤ والسيرة النبوية لابن هشام ٤/ ١٥١٣ والكامل في التاريخ ١/ ٣٥٨.

**المظهر الثالث: شفاؤه للنفوس والأبدان:**

وهذا المظهر أيضاً من أوضح المظاهر الدالة على تأثير القرآن على النفوس، بل وعلى الأبدان، فإنه شفاء للنفوس والأبدان معاً، قال الله تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ (الإسراء ٨٢) وقال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ**﴾ (فصلت ٤٤) وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ**﴾ (يونس ٥٧) وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ (الرعد).

وذكر الله هنا هو القرآن، وهو ذكره الذي أنزله على رسوله ﷺ به طمأنينة قلوب المؤمنين، فإن القلب لا يطمئن إلا بالإيمان واليقين، ولا سبيل إلى حصول الإيمان واليقين إلا من القرآن.

فإن سكون القلب وطمأنينته من يقينه، واضطرابه وقلقه من شكه، والقرآن هو المحصل لليقين، الدافع للشكوك والظنون والأوهام، فلا تطمئن قلوب المؤمنين إلا به(١).

قال ابن القيم رحمه الله: «فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه لم يقاومه الداء أبداً، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء، الذي لو نزل على الجبال لصدعها، أو على الأرض لقطعها»(٢).

وقال أيضاً: «.. فهو الشفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك، ولكن

---

(١) انظر التفسير القيم ص ٣٢٤.

(٢) زاد المعاد ٤ / ٣٥٢.

ذلك موقوف على فهمه، ومعرفة المراد منه، فمن رزقه الله تعالى ذلك أبصر الحق والباطل عياناً بقلبه، كما يرى الليل والنهار . . »(١) .

وأمر التداوي بالقرآن مشهور مستفيض بين المسلمين ولله الحمد والمنة(٢) بل حتى عند الكافرين، فقد اشتهر أن بعض عيادات الطب النفسي في بلاد الكفار تداوي مرضاها بإسماعهم آيات القرآن الكريم، حيث وجدوا أن تأثر المرضى بسماع آيات القرآن الكريم أكثر من تأثرهم بأي شيء آخر مما يستعملونه معهم .

وقد أجريت عدة تجارب علمية لدراسة التأثير الشفائي للقرآن الكريم، فقامت مؤسسة العلوم الطبية الإسلامية بمدينة ( بنما سيتي ) بولاية فلوريدا الأمريكية بعدة بحوث عن القوة الشفائية للقرآن الكريم، واستخدمت أجهزة إلكترونية مزودة بالكومبيوتر لدراسة ما إذا كان للقرآن أي أثر على وظائف أعضاء الجسد البشري، وقياس هذا الأثر إن وجد، وقد تليت آيات من القرآن على عدد من الناس مع قياس التغييرات الفسيولوجية ( بالكمبيوتر والأجهزة الإلكترونية الناتجة عن ذلك ) وتم تلاوة آيات القرآن الكريم على شرائح مختلفة من الناس هم :

١- مجموعة مسلمين يتحدثون اللغة العربية ويعرفونها جيداً .

٢- مجموعة مسلمين لا يعرفون اللغة العربية ( مسلمين أجانب ) .

٣- مجموعة من غير المسلمين .

وقد أثبتت التجارب والقياسات أن للقرآن الكريم أثراً مهدِّئاً في ٩٧٪ من التجارب، إذ ثبت أن القرآن الكريم يخفف درجة توتر الجهاز العصبي، ثم أجريت تجربة أخرى لدراسة أن هذا التأثير يرجع إلى كلمات القرآن بصفة خاصة، حتى ولو

---

( ١ ) إغاثة اللهفان ص ٥٠ .

( ٢ ) غير أن من الخطأ عند بعضهم أنهم قصروا التداوي بالقرآن على الأمراض النفسية دون الأمراض البدنية مع أنه شفاء لهما معاً، وهذا مقتضى الإطلاق في نصوص القرآن الكريم في أمر الشفاء .

كانت غير مفهومة لدى المستمع لها، واستخدم في هذه التجربة وسيلتين للتأكد من ذلك، الوسيلة الأولى: الفحص النفسي المباشر بالكومبيوتر، الوسيلة الثانية: مراقبة وقياس التغيرات الفسيولوجية في الجسد بما يأتي:

١– برنامج كومبيوتر يشمل الفحص النفساني ومراقبة وقياس التغيرات وطباعة تقرير عن النتائج.

٢– أجهزة مراقبة إلكترونية مكونة من أربع قنوات: قناتين لقياس التيارات الكهربائية في العضلات معبرة عن ردود الفعل العصبية، وقناة لقياس قابلية التوصيل الكهربائي للجلد، وقناة لقياس كمية الدورة الدموية في الجلد، وعدد ضربات القلب، ودرجة حرارة الجلد.

لأنه مع زيادة وتخفيض درجة حرارة الجلد تسرع ضربات القلب، ومع الهدوء ونقصان التوتر تتسع الشرايين فتزداد كمية الدم الوارد إلى الجلد يتبع ذلك ارتفاع في درجة حرارة الجلد ونقصان في ضربات القلب.

وقد أجريت التجربة على خمسة من غير المسلمين (ثلاثة منهم ذكور واثنتين من الإناث) متوسط أعمارهم ٢٢سنة، أجريت عليهم ٢١٠ تجربة، كانت كما يلي:

١– ٨٥ تجربة استمعوا فيها إلى القرآن الكريم المجود باللغة العربية.

٢– ٨٥ تجربة أخرى استمعوا فيها إلى كلمات عربية ليست قرآنية، مجودة حتى تكون مطابقة للقراءات القرآنية من حيث الصورة واللفظ والوقع على الأذن.

٣– ٤٠ تجربة لم يسمعوا فيها أي شيء (تجارب صمت).

**وكانت النتائج كما يلي:**

١– جلسات الصمت (٤٠تجربة) لم يكن لها أي تأثير مهدئ للتوتر.

٢- يوجد نتائج إيجابية في ٦٥٪ من تجارب القراءات القرآنية .

٣- يوجد نتائج إيجابية في ٣٥٪ من تجارب القراءات غير القرآنية(١) .

هذا فيما يتعلق بشفاء القرآن لأمراض النفوس، وهو الجانب الذي له تعليق وثيق بموضوع البحث، وإلا فإن له تأثيراً كبيراً أيضاً على أمراض الأبدان، لا يقل عن تأثيره في أمراض النفوس، ولعل مما يستشهد به على هذا حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في رقيته للديغ الذي لدغته عقرب، فقرأ عليه سورة الفاتحة سبع مرات، فقام كأنما نشط من عقال(٢) .

## المظهر الرابع : الخشوع والبكاء ووجل القلوب عند تلاوته وسماعه :

وهذا مظهر محمود من مظاهر تأثير القرآن في نفوس المؤمنين، بل قد أثنى الله به على بعض أهل الكتاب السابقين كما قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ** ﴾ ( المائدة ٨٣ ) .

وبين الله تعالى أن القرآن الكريم مؤثر في القلوب الخاشعة التي تخشى الله تعالى وأن ذلك من هداية الله لأصحابها، فقال تعالى : ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** ﴾ ( الزمر ) وقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾ ( الأنفال ) أي : فزعت ورقت وخافت(٣) .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : « الوجل في القلب كإحراق السَّعَفة، أما تجد له قشعريرة ؟ قال : بلى ! قال : إذا وجدت ذلك في القلب فادع الله، فإن الدعاء

---

(١) انظر التداوي بالقرآن لمحمد سليم ص ١٣٧ والعلاج الرباني للسحر والمس الشيطاني ص ١٠٥،

(٢) الحديث في صحيح البخارى ٦ / ٤٢١ برقم (٥٠٠٧) .

(٣) انظر تفسير الطبري ١١ / ٢٨ وابن كثير ٣ / ٦٦٠ وابن عطية ٢ / ٥٠١ .

يذهب بذلك»(١).

وهذه صفة المؤمن حق المؤمن، الذي إذا ذكر الله وجل قلبه، أي: خاف منه، ففعل أوامره، وترك زواجره، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران١٣٥) وكقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات)(٢).

إنها الارتعاشة الوجدانية التي تنتاب القلب المؤمن حين يذكر بالله في أمر أو نهي، فيغشاه جلاله، وتنتفض فيه مخافته، ويتمثل عظمة الله ومهابته، إلى جانب تقصيره هو وذنبه، فينبعث إلى العمل والطاعة ... إنها حال ينال القلب منها أمر يحتاج إلى الدعاء ليستريح منها ويقر! وهي الحال التي يجدها القلب المؤمن، حين يذكر بالله في صدد أمر أو نهي، فيأتمر معها وينتهي، كما يريد الله، وَجَلاً وتقوى لله(٣).

ومن أول من يتأثر بكلام الله تعالى هم من تلقوه، وكلفهم الله ببلاغه للبشر وهم الأنبياء والرسل، ولذلك قال تعالى عنهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾ (مريم).

قال القرطبي: «في هذه الآية دلالة على أن لآيات الرحمن تأثيراً في القلوب... وقال الأصم: المراد بآيات الرحمن الكتب المتضمنة لتوحيده وحججه، وأنهم كانوا

---

(١) أسنده الطبري في تفسيره ١١/٢٩ عن سفيان الثوري، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن شهر بن حوشب عن أبي الدرداء، وهو كذلك في الدر المنثور للسيوطي ٣/٢٩٧ وعزاه إلى الحكيم الترمذي والطبري وابي الشيخ، كلهم عن أبي الدرداء، أما في تفسير ابن كثير ٣/٦٦٠ فهو عن أم الدرداء.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٦٦٠.

(٣) في ظلال القرآن ٣/١٤٧٥.

يسجدون عند تلاوتها، ويبكون عند ذكرها»(١).

وقال سيد قطب: «أولئك النبيون ومعهم من هدى الله واجتبى من الصالحين من ذريتهم صفتهم البارزة ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾ فهم أتقياء ... ترتعش وجداناتهم حين تتلى عليهم آياته، فلا تسعفهم الكلمات للتعبير عما يخالج مشاعرهم من تأثر، فتفيض عيونهم بالدموع ويخرون سجداً وبكياً»(٢).

وفي مقدمة الذين أثر فيهم القرآن من نزل على قلبه القرآن محمد ﷺ الذي كان يتأثر وهو يتلو القرآن ويتأثر وهو يسمع القرآن، ويبدو التأثر دموعاً عزيزة تذرفها عيناه الشريفتان.

ومن الأمثلة على تأثره وبكائه ﷺ عند تلاوته للقرآن حديث عبد الله بن الشِّخير رضي الله عنه قال: «أتيت النبي ﷺ وهو يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء ﷺ»(٣).

ومن تأثره وبكائه لسماع القرآن ما روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حيث قال: «قال لي رسول الله ﷺ اقرأ عليَّ، قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ٤٧١.

(٢) في ظلال القرآن ٤ / ٢٣١٤.

(٣) أخرجه أبو داود ١ / ٢٣٨ برقم (٩٠٤) والنسائي ٣ / ١٣ برقم (١٢١٤) وأحمد ٢٦ / ٢٣٨ برقم (١٦٣١٢) وابن حبان برقم (٧٥٣) والحاكم ١ / ٢٦٤ والبغوي في شرح السنة ٣ / ٢٤٤ برقم (٧٢٩) والبيهقي في السنن الكبرى ٢ / ٢٥١ وفي الجامع لشعب الإيمان ٣ / ٦٤ برقم (٧٥٦) وعبد بن حميد في المنتخب ١ / ٤٦١ برقم (٥١٣) وفي بعض الروايات (كأزيز الرحى) والمرجل: القدر، فإنه عند غليان الماء فيه يخرج منه صوت، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١ / ١٧٠ برقم (٧٩٩).

شَهِيداً ﴾( النساء ) فقال : حسبك الآن، فإذا عيناه تذرفان »( ١ ) .

وهكذا كان أصحاب النبي ﷺ يتأثرون بآيات القرآن الكريم ويخشعون ويبكون وتوجل قلوبهم عند تلاوته وسماعه، كما روى عبد الله بن عروة بن الزبير قال : « قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر : كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمعوا القرآن ؟ قالت : تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله »( ٢ ) .

وهكذا فإن تأثير القرآن في النفوس دائم عبر الأزمان، فهذا سيد قطب رحمه الله يحكي ما وقع له من تأثير القرآن في نفسه، حيث قال في تفسير سورة النجم : « كنت بين رفقة نسمر حين طرق أسماعنا صوت قارئ للقرآن يقرأ سورة النجم، فانقطع بيننا الحديث لنستمع وننصت للقرآن الكريم، وكان صوت القارئ مؤثراً وهو يرتل القرآن ترتيلاً حسناً، وشيئاً فشيئاً عشت معه فيما يتلوه .

عشت مع قلب محمد ﷺ في رحلته إلى الملأ الأعلى، عشت معه وهو يشهد جبريل عليه السلام في صورته الملائكية التي خلقه الله عليها .

وعشت معه وهو في رحلته العلوية الطليقة، عند سدرة المنتهى وجنة المأوي، عشت معه بقدر ما يسعفني خيالي وتحلق بي رؤاي وبقدر ما تطيق مشاعري وأحاسيسي .

وتابعته في الإحساس بتهافت أساطير المشركين حول الملائكة وعبادتها وبنوّتها وأنوثتها .. ووقفت أمام الكائن البشري ينشأ من الأرض وأمام الأجنة في بطون الأمهات، وعلم الله يتابعها ويحيط بها ..

---

( ١ ) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب من أحب أن يستمع القرآن من غيره ٦ / ٤٣٣ برقم ( ٥٠٤٩ ) ومسلم في صلاة المسافرين باب فضل استماع القرآن ٦ / ٧٦ الحديث ( ٢٤٧ ) .

( ٢ ) أخرجه البيهقي في الجامع لشعب الإيمان ٥ / ٢٤ برقم ( ١٩٠٠ ) وقال محققه : إسناده رجاله ثقات، وترجم لهم، وأخرجه البغوي في تفسيره ٧ / ١١٦، وذكره القرطبي في تفسيره ١٨ / ٢٦٨ والسيوطي في الدر المنثور ٧ / ٢٢٢ .

وارتجف كياني تحت وقع اللمسات المتتابعة في المقطع الأخير من السورة: الغيب المحجوب لا يراه إلا الله، والعمل المكتوب لا يند ولا يغيب عن الحساب والجزاء، والمنتهى إلى الله في نهاية كل طريق يسلكه العبيد، والحشود الضاحكة والحشود الباكية، وحشود الموتى، وحشود الأحياء، والنطفة تهتدي في الظلمات إلى طريقها، وتخطو خطواتها وتبرز أسرارها، فإذا هي ذكر أو أنثى، والنشأة الأخرى ومصارع الغابرين، والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشّى .

واستمعت إلى صوت النذير الأخير قبل الكارثة الداهمة: **﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الأُولَى * أَزِفَتْ الآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾** .

ثم جاءت الصيحة الأخيرة واهتز كياني كله أمام التبكيت الرعيب **﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ * وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾** فلما سمعت: **﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾** .

كانت الرجفة قد سرت من قلبي حقاً إلى أوصالي، واستحالت رجفة عضلية مادية، ذات مظهر مادي، لم أملك مقاومته، فظل جسمي كله يختلج، ولا أتمالك أن أثبته، ولا أن أكفكف دموعاً هاتنة لا أملك احتباسها مع الجهد والمحاولة»(١) .

**المطلب الخامس: توبة بعض العصاة عند سماعه:**

وهذا المظهر من أقوى المظاهر دلالة على تأثير القرآن في نفوس السامعين، ذلك أن القرآن يغير مجرى الحياة، ويسمو بها من حضيض الغفلة والعصيان، إلى ذرى الخير والاستقامة والصلاح .

فبينما يكون المرء غارقاً في الضلالة، لاغياً لاهياً عن طاعة ربه تعالى، قد ران على قلبه ظلمات المعاصي والآثام، إذ يسمع بعض آيات القرآن الكريم، فتقع من قلبه كل موقع، فيتحرك لها جنانه، ويرق لها فؤاده، فيتحول بها عن ما كان عليه،

---

(١) في ظلال القرآن ٦ / ٣٤٢٠ .

ويرجع إلى طاعة ربه .

وقد وقع من ذلك الكثير من الوقائع، فمن ذلك ما جاء في سير الذهبي عن الفضل بن موسى قال: «كان الفضيل بن عياض شاطراً يقطع الطريق بين أَبِيوَرْد وسَرْخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينا هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع تالياً يتلو: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ**﴾ (الحديد١٦) فلما سمعها قال: بلى يا رب قد آن ... ثم قال: اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام»(١).

وذكر ابن قدامة المقدسي بسنده عن أبي هاشم المذكِّر قال: «أردت البصرة فجئت إلى سفينة أكتريتها، وفيها رجل ومعه جارية، فقال الرجل: ليس هاهنا موضع، فسألته الجارية أن يحملني، فحملني.

فلما سرنا دعا الرجل بالغداء فوضع، فقال: أنزلوا ذلك المسكين ليتغدّى فأُنزلت على أني مسكين، فلما تغدينا قال: يا جارية هاتي شرابك، فشرب وأمرها أن تسقيني، فقلت: رحمك الله إن للضيف حقاً، فتركني .

فلما دب فيه النبيذ قال: يا جارية هاتي العود وهاتي ما عندك، فأخذت العود وغنت تقول:

وَكُنَّا كَغُصْنَي بَانَةٍ لَيسَ وَاحدٌ		يَزُولُ على الخِـلاَّنِ عَنْ رَأْيِ وَاحِـدِ
تَبَدَّلَ بِي خلاًّ فَخَالَلْـتُ غَيْرَهُ		وَخَلَّيْـتُـهُ لَمَّـا أَرَادَ تَبَـاعُـدي
فَلَوْ أَنَّ كَفِّـي لَمْ تُرِدْنِي أَبَنْتُهَا		وَلَمْ يَصْطَحِبْهَا بَعْدَ ذَلِكَ سَاعِدي
أَلا قَبَّحَ الرَّحْـمَنُ كُلَّ مُمَاذِقٍ		يَكُونُ أَخَاً فِي الخَفْضِ لا في الشَّدَائِدِ

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/٤٢٣ .

ثم التفت إليَّ فقال: أتحسن مثل هذا ؟ فقلت: أحسن خيراً منه، فقرأت: ﴿ **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ** ﴾ (التكوير) فجعل الشيخ يبكي فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ** ﴾ قال الشيخ: يا جارية اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى، وألقى ما معه من الشراب في الماء وكسر العود .

ثم دنا إليَّ فاعتنقني وقال: يا أخي أترى أن يقبل الله توبتي ؟ فقلت: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ (البقرة) قال: فواخيته بعد ذلك أربعين سنة حتى مات قبلي ... »(١).

- وفي قصة أخرى لشاب من المغرب، يقول: « كنت ليلة الثاني والعشرين من شهر رمضان المبارك جالساً مع أسرتي أمام شاشة التلفاز، وهم ينصتون ويتابعون بتأثر نقل صلاة التراويح من الحرم المكي.

وكنت قد جلست معهم لا للمتابعة ولكن لمجرد رؤيتهم والاستئناس بهم، وكنت قبلها ضالاً، غير ملتزم بتعاليم الدين الحنيف، حتى الصلاة لا أحافظ عليها، وأرتكب المعاصي ولا أبالي، حتى تكوَّن لدي شعور بالاستمرار على هذا الطريق من منطلق الذنوب، وشبه اليأس من مغفرة الله ... ولكن في لحظة واحدة تغير كل شيء، إذ بينما كنت أشاهد النقل وقع سمعي على صوت إمام الحرم وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ (الزمر) .

فوجدتني أصغي بتأثر وأنا أستمع إليه وهو يقرأ هذه الآية ويرددها بخشوع وتدبر، ممتزجاً صوته ببكاء داخل أعماقي، وفي تلك اللحظة أحسست أن رحمة الله واسعة، وأنه سبحانه يغفر الذنوب، فرجعت إلى ربي من تلك اللحظة، وتبت

---

(١) كتاب التوابين ص ٢٦٦ .

إليه، وأحسست بالراحة والطمأنينة والسعادة ..»(١).

والوقائع في ذلك كثيرة، وتلك صور ونماذج يسيرة من تأثير القرآن الكريم في النفوس على اختلافها، وفي الواقع أكثر من ذلك، بل ما لا يمكن الإحاطة به لتكرره في كل زمان ومكان، ولعل فيما ذكر دلالة على المراد، والله تعالى من وراء القصد، وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

* * *

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبينا محمد الهادي إلى سبيل الجنات وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الميقات

**أما بعد :**

فلما يسر الله إتمام هذا البحث المتواضع في هذا الموضوع الجليل الهام، أود أن أشير إلى بعض النتائج التي ظهرت وتجلت لي من خلاله على وجه الإجمال، فمنها :

١– أن من وجوه إعجاز القرآن الكريم تأثيره على نفوس السامعين، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في أكثر من آية، وقرره غير واحد من العلماء .

٢– أن هذا الوجه من وجوه إعجاز القرآن ليس خاصاً بالإنس، بل شاركهم فيه غيرهم من الملائكة والجن .

٣– أن هذا الوجه الجليل من أهم وجوه الإعجاز وأنفعها، فبالوقوف عليه والإحاطة بجوانبه، يظهر جلياً عمق تأثيره على نفوس جميع الخلائق .

٤– أن هذا الوجه يشترك في إدراكه عامة الناس رغم اختلاف علومهم، وتباين

---

(١) ذكرت في المجلة العربية، ونقلها عنها صاحب كتاب (التائبون إلى الله) ٤/ ١٢٦ .

معارفهم، فليس خاصاً بأهل العلم وطلابه، كالحال في سائر وجوه الإعجاز التي لا يدركها إلا المتخصصون والباحثون، أو حين ينص عليها أهل العلم العارفون.

٥- أن هذا الوجه من وجوه الإعجاز لم يكتب فيه العلماء - فيما وقفت عليه - كتابة مستقلة تتناول جمع جوانبه، ولم يُفرد بالتأليف كالشأن في أكثر علوم القرآن، وإنما لهم كتابات متفرقة ضمن كتب وأبواب معينة.

٦- أن جمع ما كتبه العلماء في كتبهم قديماً وحديثاً عن هذا الموضوع أمر بالغ الأهمية، وهذا البحث إنما هو إسهام في شيء من هذا العمل الذي يحتاج إلى المزيد .

وبعد فهذا ما يسر الله تعالى تقييده في ختام هذا البحث، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

## فهرس المصادر والمراجع

١- آكام المرجان في أحكام الجان: لبدر الدين الشبلي، تحقيق: إبراهيم محمد الجمل، طبعة مكتبة الخدمات الحديثة بجدة .

٢- أسباب النزول: للواحدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، طبعة دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة ومؤسسة علوم القرآن بدمشق، الثالثة ١٤٠٧هـ١٩٨٧م .

٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر، بذيل كتاب الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: د.طه محمد الزيني، طبعة مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، ١٤١١هـ١٩٩١م .

٤– الإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر، تحقيق : د.طه محمد الزيني، طبعة مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، ١٤١١هـ١٩٩١م .

٥– إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني : لصلاح عبد الفتاح الخالدي، طبعة دار عمار بالأردن، الأولى ١٤٢١هـ٢٠٠٠م .

٦– إعجاز القرآن الكريم : للدكتور فضل عباس، طبعة دار الفرقان بعَمَّان، الرابعة١٤٢٢هـ.

٧– إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : لمصطفي صادق الرافعي، طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر، الثامنة ١٣٨٤هـ١٩٦٥م .

٨– إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان : لابن القيم، تحقيق مجدي فتحي السيد، طبعة دار الحديث بالقاهرة .

٩– البداية والنهاية : لابن كثير، تحقيق : علي شيري، طبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ– ١٩٨٨م .

١٠– البرهان في علوم القرآن : للزركشي، تحقيق يوسف المرعشلي، طبعة دار المعرفة ببيروت الثانية ١٤١٥هـ١٩٩٤م .

١١– بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : للفيروزابادي، تحقيق : محمد على النجار طبعة دار الكتب العلمية .

١٢– التائبون إلى الله : لإبراهيم بن عبد الله الحازمي، طبعة دار الشريف للنشر والتوزيع بالرياض، الخامسة ١٤٢١هـ٢٠٠١م .

١٣– التداوي بالقرآن والاستشفاء بالرقي والتعاويذ : لمحمد إبراهيم سليم، طبعة مكتبة القرآن ١٩٨٦م .

١٤– تفسير الطبري ( جامع البيان عن تأويل آي القرآن ) لابن جرير الطبري،

تحقيق الدكتور / عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة دار هجر، الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .

١٥- تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، طبعة مكتبة نزار مصطفى الباز، الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .

١٦- تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، تخريج وتحقيق وتعليق أبي عبد الله قاسم ابن أحمد النفيعي وأبي معاذ قاسم بن عبده العديني، مراجعة الشيخ مقبل ابن هادي الوادعي، طبعة در الراية للنشر والتوزيع بالرياض، الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .

١٧- التفسير القيم: لابن القيم، جمع: جمعة محمد إدريس، تحقيق: محمد حامد فقي، طبعة دار الكتب العلمية .

١٨- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: للرماني والخطابي والجرجاني، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، طبعة دار المعارف بالقاهرة، ١٩٦٨م .

١٩- جامع الأصول في أحاديث الرسول: لابن الأثير، طبعة دار الفكر، الثانية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

٢٠- الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

٢١- الجامع لشعب الإيمان: للبيهقي، تحقيق: د.عبد العلى عبد الحميد حامد، طبعة الدار السلفية بالهند، الأولى ١٤٠٨هـ .

٢٢- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: لابن القيم، تحقيق: د.محمد جميل غازي، طبعة المدني بالقاهرة، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

٢٣- دائرة معارف القرن العشرين: لمحمد فريد وجدي، طبعة دار المعرفة ببيروت، الثالثة ١٩٧١م .

٢٤- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للسيوطي، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩٠م .

٢٥- دلائل النبوة: للبيهقي، تعليق: د/عبد المعطي قلعجي، طبعة دار الريان بالقاهرة، الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .

٢٦- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية: للسهيلي، قدم له طه عبدالرؤوف سعد، طبعة دار المعرفة – بيروت ١٣٩٨هـ .

٢٧- زاد المعاد في هدي خير العباد: لابن القيم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، الرابعة عشرة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م .

٢٨- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت٩٤٢هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م .

٢٩- سنن أبي داود: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة المكتبة العصرية ببيروت .

٣٠- سنن ابن ماجة: طبعة جمعية المكنز الإسلامي، ١٤٢١هـ .

٣١- سنن الترمذي: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة مكتبة البابي الحلبي الثانية ١٣٨٨هـ .

٣٢- السنن الكبرى: للبيهقي، نشر دار الفكر .

٣٣- سنن النسائي: ترقيم: عبد الفتاح أبو غدة، طبعة دار البشائر الإسلامية، الثانية ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م .

٣٤- سيرة ابن إسحاق: المبتدأ والمبعث والمغازي: لمحمد بن إسحاق بن يسار، طبعة معهد الدراسات والأبحاث للتعريف، تحقيق: محمد حميد الله .

٣٥- السيرة النبوية: لابن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٣٩٦هـ - ١٩٧١م .

٣٦- السيرة النبوية: لابن هشام، طبعة دار الفكر بالقاهرة، بدون تاريخ .

٣٧- السيرة النبوية الصحيحة: للدكتور أكرم ضياء العمري، طبعة مركز بحوث السنة والسيرة بجامعة قطر، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

٣٨- شرح السنة: للبغوي، تحقيق: زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، طبعة المكتب الإسلامي، الثانية ١٤٠٣هـ .

٣٩- شرح سنن أبي داود: لبدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ) تحقيق: خالد ابن إبراهيم المصري، طبعة مكتبة الرشد بالرياض، الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٤٠- الشفا بتعريف حقوق المصطفي: للقاضي عياض، طبعة دار ابن حزم ببيروت، الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٤١- صحيح ابن حبان: مراجعة شعيب الأرنؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت ١٤١٤هـ .

٤٢- صحيح البخاري: طبعة دار الكتب العلمية ببيروت .

٤٣- صحيح سنن أبي داود: للألباني، الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٤٤- صحيح سنن الترمذي: للألباني، الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٤٥- صحيح سنن النسائي: للألباني، الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

٤٦- صحيح مسلم: طبعة دار الكتب العلية ببيروت، الأولى ١٤١٥هـ١٩٩٥م .

٤٧- الصحيح المسند من أسباب النزول: لمقبل بن هادي الوادعي، طبعة دار ابن حزم ومكتبة القدس، الثانية ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م .

٤٨- عالم الجن والشياطين: للدكتور عمر الأشقر، طبعة دار النفائس بالأردن، الثانية ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .

٤٩- عقيدة المسلم: لمحمد الغزالي، طبعة دار القلم بدمشق، الرابعة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .

٥٠- العلاج الرباني للسحر والمس الشيطاني: لمجدي محمد الشهاوي، طبعة مكتبة القرآن بالقاهرة .

٥١- علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه: للدكتور عدنان محمد زرزور، طبعة المكتب الإسلامي .

٥٢- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: للسمين الحلبي، تحقيق محمد باسل عيون السود طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

٥٣- عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: للدكتور محمد السيد راضي جبريل، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .

٥٤- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: تأليف محمد بن عبد الله ابن يحي ابن سيد الناس، طبعة مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م .

٥٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لابن حجر، تحقيق: محب الدين الخطيب، طبعة المكتبة السلفية بالقاهرة، الرابعة ١٤٠٨هـ .

٥٦- فضائل القرآن: لابن الضريس، تحقيق: غزوة بدير، طبعة دار الفكر بدمشق، الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

٥٧- في ظلال القرآن: لسيد قطب، طبعة دار الشروق بالقاهرة، الثالثة عشر ١٤٠٧هـ .

٥٨- القاموس المحيط: للفيروزابادي، تحقيق وطبع مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٥٩- الكامل في التاريخ: لابن الأثير، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، توزيع دار عباس الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٦٠- كتاب التوابين: لابن قدامة المقدسي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، طبعة مكتبة دار البيان بدمشق، الرابعة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

٦١- لقط المرجان في أحكام الجان: للسيوطي، طبعة دار الكتب العلمية، الأولى١٤٠٦هـ.

٦٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، توزيع مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

٦٣- مداخل إعجاز القرآن: لمحمود محمد شاكر، طبعة دار المدني، الأولى١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٦٤- المستدرك: للحاكم، طبعة حيدر آباد، ١٣٤١هـ .

٦٥- المسند: للإمام أحمد، طبعة مؤسسة الرسالة، بإشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي - الثانية - ١٤٢٠هـ١٩٩٩م .

٦٦- معترك الأقران في إعجاز القرآن: للسيوطي، ضبط: أحمد شمس الدين طبعة دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٦٧- معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين طبعة دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م .

٦٨- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، طبعة دار الدعوة السلفية باستانبول ١٩٨٩م .

٦٩- مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، طبعة دار القلم بدمشق والدار الشامية ببيروت، الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٧٠- مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن: تعليق: زكريا سعيد على، طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة، الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م .

٧١- مناهل العرفان في علوم القرآن: للزرقاني، طبعة دار الفكر .

٧٢- المنتخب للحافظ عبد بن حميد: تحقيق: مصطفى العدوي، طبعة دار الأرقم بالكويت، الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

٧٣- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن: للدكتور محمد عبد الله دراز، طبعة دار القلم بالكويت، السادسة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م .

٧٤- نظرات في القرآن: لمحمد الغزالي، طبعة دار الكتب الحديثة بمصر، الثانية ١٣٨٠هـ- ١٩٦١م .

٧٥- النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، طبعة المكتبة العلمية ببيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م .

٧٦- الوابل الصيب من الكلم الطيب: لابن قيم الجوزية، تحقيق قصي محب الدين الخطيب، طبعة المطبعة السلفية بالقاهرة، الخامسة ١٤٠٠هـ .

* * *